الفوائد التربوية من فتاوى ابن تيمية

جمع وشرح
احمد يوسف احمد الانصاري




بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الاولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



مكتبة المنار الاسلامية
للنشر والتوزيع

الكويت ص.ب ٤٣٠٩٩ حولي
الرمز البريدي 32045 ـ الكويت
ت ٢٦١٥٠٤٥

المقـــدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى، وعلى آله وصحبه أجمعين:ـ لقد كان هدفي من هذا البحث المتواضع هو إبراز الفقه التربوي عند شيخ الاسلام ابن تيمية من خلال نصوص منقولة من كلامه مع التعليق عليها، والتي يظهر من خلالها أن شيخ الاسلام ابن تيمية لم يكن بارعا في علوم الشريعة وعلم المنطق والكلام فحسب، بل في التربية والسلوك ودراسة النفس الانسانية على أسس نظرية وعملية، فضلا عن بزوغه في جانب التربية والدعوة وقتال الأعداء، والالتزام بالمفاهيم الحركية الشرعية من طاعة وسرية وبيعة ووفاء.
وإليك أخي القارىء منهجي في هذا البحث:ـ

أولا : عنونة كل مسألة بما يناسب محتواها.

ثانيا : ـ ترقيم الآيات وتخريج الأحاديث في بعض المسائل.

ثالثا : ـ التعليق على كل مسألة بإيجاز غير مُخل ولا اسهاب مُمل.

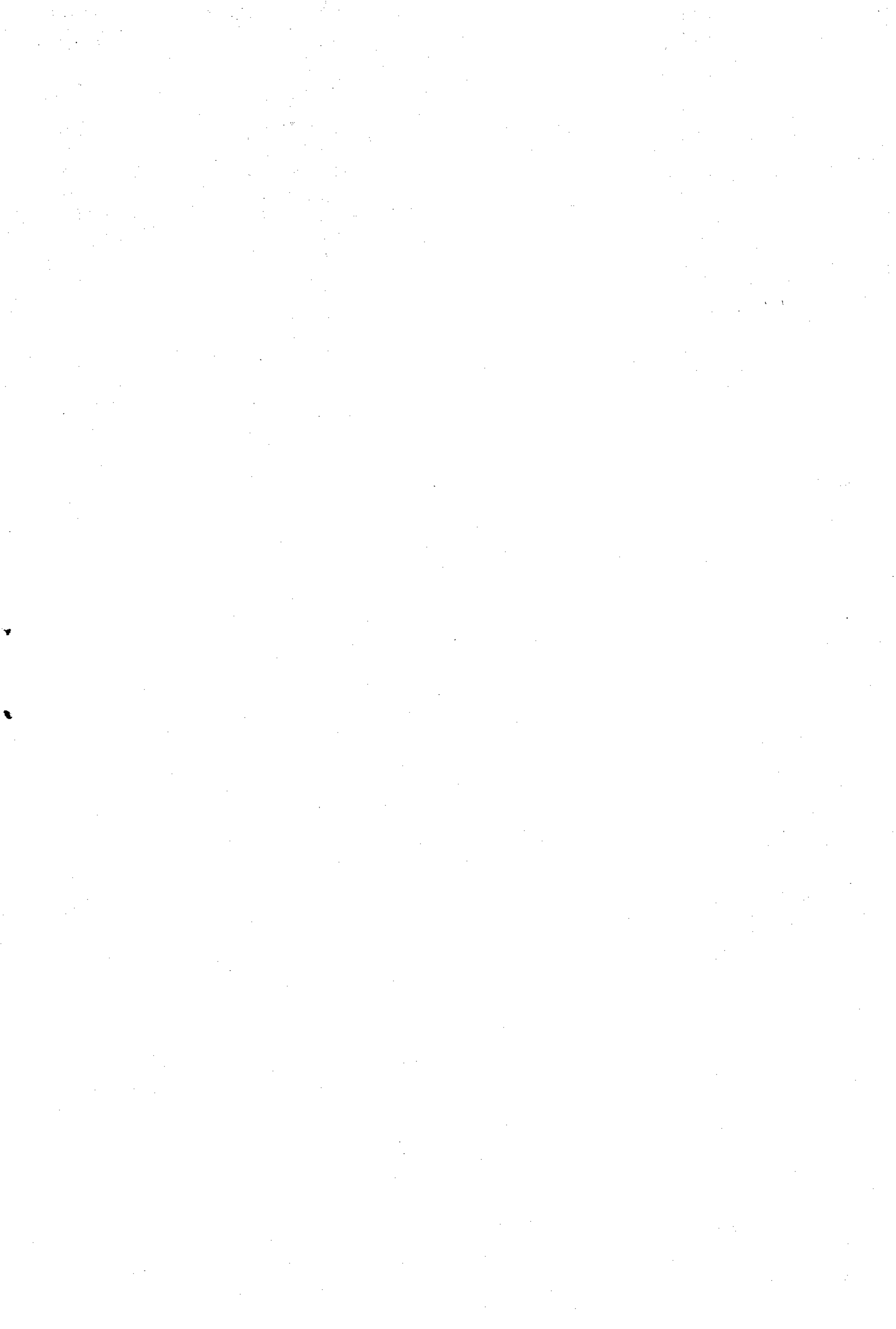
رابعا: ـ ترك بعض المسائل دون تعليق عليها نظرا لاستيعابها وإسهابها للموضوع.

خامسا : ـ جميع المسائل مستقاة من «المجلد الثالث، السابع، العاشر، الحادي عشر، التاسع عشر، العشرين، الثالث والعشرين، الثامن والعشرين، الخامس والثلاثين» من مجموع الفتاوى لابن تيمية عدا مسألة واحدة فمستقاها من كتاب السياسة الشرعية للمؤلف!!

والله أسأل أن يجعل عملي هذا صالحا ولوجهه خالصا.

والحمد لله رب العالمين »

كتبه :
أحمد يوسف أحمد الأنصاري



المسألة الأولى :

انقضاء عرى الدعوة

يقول العلامة ابن تيمية رحمه الله:

« ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية، فإن كمال الاسلام هو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله».

ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم، ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه ومَنْع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيمانا وجهادا ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وقبح حال الكفر والمعاصي»*

لذا كان لزاماً على الدعاة أن يدركوا حقيقة تلك الفتن «الجاهلية» وخطورتها وأنواعها، ويبادروا في استئصالها ووضع الحلول لها، وإلا نقض الاسلام عروة بعد عروة، وتمزق المسلمون شرّ ممزق. تلك هي القاعدة العمرية وحسبك بها من قاعدة...!!

---

* مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١)

المسألة الثانية :

الحسنة وأخواتها والسيئة وأخواتها

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: «ولهـذا قال من قـال من السلف كسعيد بن جبير: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها»*.

نعم أيها السالك الدرب المستقيم، هكذا يجب ان تحافظ على نفسك وتنجو بها، في ترويضها على حب فعل المـأمور وبغض فعـل المهجور والممنوع، إذ بها تقي نفسـك وتقي اخوانـك وصفك من الوقـوع في مستنقع الرذائل والموبقات، التي هي سبب بغض الخلق وبطء النصر والحرمان من كل خير يقول الطبيب المجرب ابن القيم عليه رحمة الله تعالى: «ومن عقوبة المعاصي أنها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتزيل الحـاصل وتمنـع الواصل. فـإن نعم الله ما حفـظ موجودها بمثل طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته. وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سببا وآفة: سببا يجلبه وآفة تبطله، فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته، وآفاتها المانعة منها: معصيته. فإذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها»[١]

---

* مجموع الفتاوى (١٠/١١)

(١) الجواب الكافي (١٦٣) للعلامة بن القيم الجوزية.

المسألة الثالثة :

شرعية البيعة في العمل الجماعي

يقول شيخ الاسلام رحمه الله: «إن الصادقين في دعوة الايمان هم المؤمنون الذين لم يعقب إيمانهم ريبة، وجاهدوا في سبيله بـأموالهم وأنفسهم، وذلك إن هذا هو العهد المأخوذ على الأولين والآخرين كما قال تعالى «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين».[1] قال ابن عباس «مابعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه*».

ويقول العلامة ابن خلدون في بيانه معنى الميثاق أو البيعة: «إعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يُسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره»[2].

والبيعة سنة نبوية أعطاها المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا في حياته كبيعة العقبة الأولى والثانية وكبيعة الرضوان، وبقيت نافذة بعد وفاته يعطيهـا المسلمون لأوليـاء أمورهم، عن عبـادة بن الصامت قال: دَعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناهُ فقال فيما أخذ

---

(١) سورة آل عمران (٨١)

* مجموع الفتاوى (١٠/١٢)

(٢) مقدمة بن خلدون (٢٠٩) ط دار الكتب العلمية بيروت.

علينا أن بايعنا على السمع والطاعةِ في مَنشطنَا ومَكرهِنَا وعُسْرنا وَيُسْرنا وأَثرة علينا وأَن لا نُنَازع الأمر أَهلهُ إلا أن تروا كَفُراً بواحاً عِندكُمْ من الله فيه بُرهانٌ»[٣] .

ويعلق العلامة ابن حجر العسقلاني على قوله «في منشطنا ومكرهنا» أي في حالة نشاطنا وفي الحالة التي نكون فيها عاجزين عن العمل بما نؤمر به، إذن فالبيعة علينا نحن معاشر الدعوة الآن هي من أوجب وألزم أولويات العمل الاسلامي لاسيما البيعة القائمة على استرجاع الشريعة الاسلامية الغائبة النائية عن واقع البشرية اليوم، وإلى مزيد من التأصيل والتدليل نقول لمن ينكر على الدعاة ويبدع عليهم عملهم هذا، أن منهج السلف رضوان الله عليهم في فهمهم للايمان وحقيقته لم يكن مجرد تصديق بالقلب بل إنما فهموه إعانة ومساعدة باليد والوقت والمال وتكثير السواد وتوحيد صفوف جماعة المؤمنين وتقويتها في معاركها وصراعها ضد الباطل الجفول[٤] !!

---

(٣) أخرجه البخاري (الفتح ١٣/٥)

(٤) المنطلق (٢١٢) محمد أحمد الراشد بتصرف!

المسألة الرابعة :

احذروا هذا الوعيد أيها المتثبطون من الدعاة

قال تعالى: «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين»(*).

يقول شيخ الاسلام في ظلالها «فإن لم يكن الله ورسوله والجهاد في سبيله: أحب إلى العبد من الأهل والمال على اختلاف أنواعه فإنه داخل تحت هذا الوعيد*»

ولكن وللأسف الشديد نجد بعض قيادات الحركات الاسلامية لا تُعير لهذا الأصل (الجهاد) أي اعتبار أو اهتمام، لا في مجالس خاصة ولا عامة، بل تُلقن أفرادها حججاً واهية ومخارج متناهية بعيدة كل البعد عن منهج سلف الأمة وخيارها، فذلك مزلق خطير إن لم يُأخذ في عين الاعتبار لاسيما إذا نشأ جيل لم يترب على أدنى رتبة من مراتب الجهاد ألا وهو تحديث النفس بالغزو فالمعصوم صلوات ربي وسلامه عليه يحذر ويقول «مَنْ مَات ولم يغزُ، ولم يحدِّث به نفسه مات على شُعبة من نفاق»[1] إن صاحب هذا القول انتصر يوم انتصر حينما جعل من كل فرد نموذجامجسماًللاسلام، يراه الناس فيرون فيه الاسلام كاملا لا مجزءاً، على طريقة التأصيل العقدي في ميادين الجهاد العملي بحيث

(*) سورة التوبة (٢٤)
* مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٨٩)
(١) رواه مسلم رقم (١٩١٠)

صاغ من عقيدة الاسلام صياغة حول ايمان اتباعه بالاسلام جهادا وعملا في كل الميادين، سواء ميادين الدعوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو ميدان تربية النفس على ملاحمة الأعداء ونحوه، ولعل سائلا يقول وماذا تعني بالتربية الجهادية؟ هل تعني التفرغ للتربية العسكرية وإهمال الجوانب الاخرى من الاسلام؟ قلت لا؟ إن التربية الجهادية لا تعني بحال اسقاط التربية الاخرى من الحساب، ولا تعني التفرغ للتربية العسكرية أو اهمال التربية الروحية والفكرية والسياسية والحركية؟ إنما هي تعني تأصيل روح الجهادية لدى الفرد والجماعة وجعل هذه الروح وشيجة الربط بين سائر الاهتمامات، والعنوان الرئيسي لها، تعني ايجاد الانسان الذي يعيش من أجل الاسلام، الانسان الذي يدرك عظمة دوره ودقته فهو لا يتوانى يهيء نفسه ويستعد للقيام بهذا الدور على أكمل وجه، الانسان المعلق قلبه بالله وبالآخرة فهو لا يعيش لدنياه مقدما فضول الوقت والجهد لآخرته ودعوته. بل هو الانسان المتلهف الى الشهادة في سبيل الله، والذي يعيش حقيقة الشعار الذي يردده «الموت في سبيل الله أسمىٰ أمانينا»[٢].

---

(٢) انظر ابجديات التصور الحركي للعمل الاسلامي (٨٩ ـ ٩٠) للاستاذ فتحي يكن بتصرف.

المسألة الخامسة :

قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال شيخ الاسلام رحمه الله : « قوله تعالى علواً كبيرا: «عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم»[1] لا يقتضى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا نهيا ولا إذنا كما في الحديث المشهور في السنن عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»[2] وكذا في حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعا في تأويلها «إذا رأيت شحّاً مُطاعاً وهوى متَبعاً واعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك»[3] وهذا يفسر حديث أبي سعيد في مسلم «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[4] فإذا قوى أهل الفجور حتى لا يبقى لهم اصغاء إلى السيد، بل يؤذون الناهي لغلبة الشح والهوى والعجب: سقط التغيير باللسان في هذه الحال وبقى بالقلب «والشح» هو شدة الحرص التي توجب البخل والظلم وهو منع الخير وكراهته و«الهوى

(١) سورة المائدة ١٠٥
(٢) أخرجه أحمد (٢/٥،٢)
(٣) اخرجه ابو داود رقم (٤٣٤١) وابي ماجة رقم (٤٠١٤)
(٤) أخرجه مسلم رقم (٤٩)

المتبع» في ارادة الشر ومحبته، «الأعجاب بالرأي» في العقل والعلم فذكر فساد القوى الثلاث التي هي العلم والحب والبغض، كما في الحديث الآخر «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوىً متبع واعجاب المرء بنفسه» وبإزائها الثلاث المنجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى وكلمة الحق في الغضب والرضى» وهي التي سألها في الحديث الآخر «اللهم اني اسألك خشيتك في السر والعلانية واسألك كلمة الحق[5] في الغضب والرضى واسألك القصد في الفقر والغنى» فخشية الله بإزاء اتباع الهوى فإن الخشية تمنع ذلك كما قال «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى»[6] والقصد في الفقر والغنى بإزاء الشح المطاع وكلمة الحق في الغضب والرضى بإزاء اعجاب المرء بنفسه وماذكر الصديق ظاهر فإن الله قال «عليكم أنفسكم» أي: إلزموها واقبلوا عليها ومن مصالح النفس فعل ما أمرت به من الأمر والنهي وقال «لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم» وإنما يتم الاهتداء إذا أطيع إليه وأدي الواجب من الأمر والنهي وغيرهما ولكن في الآية فوائد عظيمة.

«**أحدها**» : ألا يخاف المؤمن الكفار والمنافقين فانهم لن يضروه إذا كان مهتديا.

«**الثاني**»: ألا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم فإن معاصيهم لا تضره إذا اهتدى والحزن على ما لا يضر عبث. وهذان المعنيان مذكوران في قوله «واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون»[7].

---

(٥) أخرجه ابن حبان (موارد/ ٥٠٩)

(٦) سورة النازعات: ٤٠

(٧) سورة النحل: ١٢٧

«**الثالث**»: ألا يركن إليهم ولا يمد عينيه الى ما أوتوه من السلطان والمال والشهوات كقوله « لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم»[1] فنهاه عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم في آية، ونهاه عن الحزن عليهم والرهبة منهم.

«**الرابع**»: أن لا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بُغضهم أو ذمهم أو نهيهم او هجرهم أو عقوبتهم، بل يقال لمن اعتدى عليهم: عليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت كما قال: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن تعدلوا، أعدلوا هو أقرب للتقوى)[2] وقال: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)[3] وقال (فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين)[4] فإن كثيرا من الآمريين الناهين قد يتعدى حدود الله إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه وسواء في ذلك الأنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين.

«**الخامس**»: أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل القصد فإن ذلك داخل في قوله (عليكم أنفسكم) وفي قوله (إذا اهتديتم) فهذه خمسة أوجه تستفاد من الآية لمن هو مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها المعنى الآخر وهو اقبال المرء على مصلحة نفسه علما وعملا وأعراضه عما لا يعنيه كما قال صاحب الشريعة «من حسن اسلام المرء تركه مع لا يعنيه»[5] ولاسيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرء اليه حاجة من أمر

---

(١) سورة الحجر: ٨٨

(٢) سورة المائدة: ٢

(٣) سورة البقرة: ١٩٠

(٤) سورة البقرة: ١٩٣

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٩٠٣) والترمذي رقم (٢٣١٧)

دين غيره ودنياه لاسيما ان كان التكلم لحسد أو رئاسة وكذلك العمل فصاحبه إما معتد أو ظالم وإما سفيه عابث أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ويكون من باب الظلم والعدوان فتأمل الآية في هذه الأمور من أنفع الأشياء للمرء وأنت إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة علمائها وعبادها وأمرائها ورؤسائها: وجدت أكثره من الضرب الذي هو البغي بتأويل أو بغير تأويل كما بغت الجهيمة على المستنة في محنة الصفات والقرآن ومحنة أحمد وغيره وكما بغت الرافضة على المستنة مرات متعددة وكما بغت الناصبة على عليٍّ وأهل بيته وكما قد تبغى المشبهة على المنزهة وكما قد يبغى بعض المستنة إما على بعضهم وإما على نوع من المبتدعة بزيادة على ما أمر الله به وهو الاسراف المذكور في قولهم «ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا»[٦] وبإزاء هذا العدوان: تقصير آخرين فيما أمروا به من الحق أو فيما أمروا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأمور كلها فما أحسن ما قال بعض السلف: «ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالى بأيها ظفر غلو أو تقصير» فالمعين على الإثم والعدوان بإزائه تارك الاعانة على البر والتقوى وفاعل المأمور به وزيادة منهى عنه بإزائه تارك المنهى عنه وبعض المأمور به والله يهدينا الصراط المستقيم ولا حول ولا قوة إلا بالله»* انتهى.

---

* مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٧٩ الى ٤٨٣)

(٦) سورة آل عمران: ١٤٧

المسألة السادسة :

الأصالة الشرعية للعمل الجماعي

يقول الشيخ رحمه الله: «وأما لفظ «الزعيم» فإنه لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى: (ولمن جاء به حمل بعير وأنابه زعيم)(١) فمن تكفل بأمر طائفة فإنه يقال هو زعيم فإن كان قد تكفل بخير كان محمودا على ذلك وإن كان شراً كان مذموما على ذلك، وأما «رأس الحزب» فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والاعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كانوا على الحق والباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله فإن الله ورسوله أمرا «بالجماعة والائتلاف» ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان»*.

هكذا كان هؤلاء الأئمة الأعلام رحمهم الله أصحاب فقه عظيم وفهم دقيق لمقاصد الشريعة الغراء، حيث أدركوا أن الفردية والانعزالية تغاير تلك المقاصد العامة للشريعة الاسلامية، لاسيما إذا كان العمل منوطا بجهود فردية مبعثرة ليست قائمة على أسس مُنَظَمة وخطط مرحلية، فلا غرو إذن من أن سلف هذه الأمة وخيارها قد انخلعوا عن الفردية وتكاتفوا وعملوا عملا جماعيا وأوضحوا ذلك في عدد من

(١) سورة يوسف: ٧٢

* مجموع الفتاوى (٩٢/١١)

فتاواهم الواضحة والصريحة على شرعية العمل الجماعي يروى لنا إمامنا الزهري رحمه الله فيقول «كان الصحابي هشام بن حكيم بن حزام القرشي رضي الله عنه يأمـر بالمعـروف في رجال معـه»[٢] وقال الأوزاعي «خمسٌ كان عليه أصحاب النبي (ﷺ) لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، وجهاد في سبيل الله»[٣] فهذا طرف أيها الدعاة الغيورين مما كان عليه هدي القرون الأولى من فقه الدعوة والعمل الجماعي. ولقد صح عن النبي (ﷺ) انه قال «من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة»[٤] وجاء من كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة «ولتكن منكم أمة يدعـون إلى الخير ويـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»[٥] أي ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون»[٦]

وعلى هذا فالعمل الاسلامي اليوم يستوجب منا معاشر الدعاة ألا نعمل منفردين متشتتين لاسيما وأن القاعدة الأصولية الشرعية «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» خير حافز يحفز بها الدعاة اليوم فضلا عن غيرها من النصوص، ليجعلوها محـور فقه الدعـوة ولكي تحوز الدعوة الاسلامية رسوخا جديدا بما تملكه هذه القاعدة وغيرها من النصوص هيبة من قائليها وبمـا تؤول إليـه من القيام بـدور القول الفاصل حين يبادر أحد الواهمين المتفيهقين الى تبديع من يعمل في حقل العمل الاسلامي المنظم..!!

---

(٢) تهذيب التهذيب (١١/٣٧) للحافظ ابن حجر العسقلاني ط بيروت

(٣) شرح السنة للامام البغوي (١/٢٠٩)

(٤) اخرجه الامام أحمد (١/٢٦) والترمذي رقم (٢١٦٥)

(٥) سورة آل عمران: ١٠٤

(٦) تفسير الحافظ (١/٣٩٠)

المسألة السابعة :

معيار التزكية

يقول الشيخ رحمه الله: «فمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة شهدنا له بالجنة وأما من لم يشهد له بالجنة فقد قالت طائفة من أهل العلم لا نشهد له بالجنة ولا نشهد بأن الله يحبه. وقالت طائفة بل من استفشى من بين الناس ايمانه وتقواه واتفق المسلمون على الثناء عليه،كعمر بن عبدالعزيز والحسن البصري وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والفضل بن عياض وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي وعبدالله بن المبارك رضي الله عنهم وغيرهم شهدنا لهم بالجنة»*.

وقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال النبي (ص) وجبت، ثم مرُّوا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال وجبت، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما وجبت؟ قال هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة. وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض»[1]. إذن القول بأن فلانا شهيد أو صالح أو من أهل اليمين، لابد له من بيِّنة تفصح عن أعمال وفضائل الشخص المزكىٰ، فإن ثبت ذلك جاز لنا شرعا، لاسيما من عُرف بجهاده وتضحيته ومقارعته للظالمين المعطلين لشرع الله المتسلطين على عباد الله، سئل ابن تيمية رحمه الله تعالى: «في

---

* مجموع الفتاوى (١١/٥١٨)

(١) فتح الباري (٣/٢٢٩)

جواز أن يقال ان فلانا شهيد فأجاب: «فمن ثبتت ولايته بالنص وأنه من أهل السنة وأنه من أهل الجنة كالعشرة وغيرهم فعامة أهل السنة يشهدون له بما شهد له به النص وأما من شاع له لسان صدق في الأمة. بحيث اتفقت الأمة على الثناء عليه فهل يشهد له بذلك؟ هذا فيه نزاع بين أهل السنة والأشبه أن يشهد له بذلك»[٢] وهذا اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية. إلا أن هذا اللفظ وغيره من الألفاظ كنحو هذا فلان ولي، أو مؤمن، لا يكون على سبيل القطع بل على الحكم بالظاهر المبني على الظن الغالب، والله اسأل أن يرحم شهداء المسلمين من دعاة، وعلماء، ومجاهدين، وان يغفر لمن أساء الظن بهم وتطاول في الكلام عليهم جهلا، وغفلة، ونستغفر لهم بدل ان نطعن فيهم فإنهم قد أفضوا الى ما قدموا.

---

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥)

المسألة الثامنة :

وجوب التعاهد على المؤازرة

يقول الشيخ رحمه الله: «فهذه الحقوق واجبة بنفس الايمان والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما أوجب الله ورسوله وهذه ثابتة لكل مؤمن على مؤمن، وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة»*

فالتعاهد بين المسلمين على مناصرة أمور الشريعة الاسلامية وحفظ حدودها وضوابطها والقيام بما توجبه من واجبات وحقوق أخوية وايمانية على السواء أمر ثابت بالنص والاجماع. قال تعالى:

« فتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»[1] يأمر تعالى عباده بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البرّ وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم، قال ابن جرير: «الإثم ترك ما أمر الله بفعله والعدوان مجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم»[2] وأخوة الدين تفرض **التناصر** بين المسلمين، لا تناصر العصبيات العمياء بل تناصر المؤمنين المصلحين لاحقاق الحق وابطال الباطل، وردع المعتدي، وإجارة المهضوم، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده في معترك، بل لابد من الوقوف بجانبه على أي حال لإرشاده إن ضلّ، وحجزه إن تطاول والدفاع عنه إن هوجم

---

* مجموع الفتاوى (١١/١٠١)

(١) سورة المائدة: ٢

(٢) تفسير الحافظ ابن كثير (١/٦)

والقتال معه إذا استبيح[٣] تلك هي الحقوق الواجبة التي رسمها الاسلام وغفل عنها الكثير من اتباعه ممن يعدون من العلماء والدعاة الذين فروا من ساحة الميدان والجهاد العملي بحجج واهية ومخارج متناهية، بل الأدهى والأمر من ذلك أنهم أخذوا يعيبون على المخلصين من شباب الصحوة الاسلامية الذين ينادون بمد يد العون والمناصرة في سبيل استرجاع عزة هذا الدين من جديد وكرامة الانسانية المهضوم حقها، فضلا عن أن هؤلاء «المثبطين» أداة تشويه وتشويش على العاملين في حقل العمل الاسلامي إذ أن وجود أحدهم كعدمه حين أنهم رضوا بأن يكونوا مع الخوالف..

---

(٣) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي (٢٠٩)

المسألة التاسعة

« المجتهد معذور في الشرع »

يقول ابن تيمية رحمه الله «وليس كل من خـالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا، فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته»*

تلك هو الميزان المعتدل الذي يجب أن ينظر فيه المتسرع قبل اطلاقه الحكم على منازعه، أنه كافر أو فاسق أو مبتدع، لاسيما إذا كان يمس صلب العقيدة السليمة، فالحكم فيها من التهور والمخاطرة التي تؤول بصاحب هذا اللفظ الى البوار وسوء العاقبة عياذ بالله، عن ابن عمر أن النبي (ص) قال «إذا كفَّر الرجلُ أخاه فقد باء بها أحدُهُما»[١] ويقول شيخنا الفاضل محمد الأشقر «فأما المخطىء في مسائل العقائد إن كان خطؤه في معرفة وجود الله تعالى، او استحقاقه للافراد بالعبادة، أو أدّاه خطؤه إلى إنكار أصول الإيمان الستة، أو إلى ترك الدخـول في الاسلام، فإن خطأه يكون كفراً، وأما إن كان خطؤه نحو نفي رؤية الله تعالى حقيقة، أو تأويل الصفات ونحو ذلك، مع إقراره بالله رباً وبمحمد نبياً وبالقرآن أماما فقد اختلفت الأمة في تكفير المخطئ في ذلك والأقرب عدم القول بالتكفير لمن استفـرغ وسعه في طلب الحق من ذلك، بـل

* مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٩)

(١) شرح مسلم للنووي (٢/ ٤٩) ط بيروت

يكون ذلك بدعة اعتقادية»[٢] ولكن لا يعني ذلك أننا لا نشير الى الخطأ أو المزلق الذي وقعت فيه بعض الفِرَقْ الإسلامية، كلا بل يلزمنا إظهار الحق وإزهاق الباطل على ضوء النقد العلمي البناء لا التهور والاسفاف، مدركين في ذلك قاعدة كفر دون كفر وفسق دون فسق وخطأ دون خطأ، ورحم الله الامام حسن البنا حين قال في أصوله العشرين «لا نكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض، برأي أو بمعصية إلا إن اقرَّ بكلمة الكفر أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة أو كذّب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر»[٣] ..

---

(٢) انظر الواضح في أصول الفقه (٢٠٦ ـ ٢٠٧) د. محمد سليمان الأشقر. الدار السلفية.

(٣) شرح الأصول العشرين (٥٥) تعليق رضوان محمد رضوان.

المسألة العاشرة :

التعصب للرأي ذريعة للخلاف والشر

يقول شيخ الاسلام رحمه الله : «فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى، بلا برهان من الله تعالى، وقد برّأ الله نبيه صلى الله عليه سلم ممن كان هكذا، فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم، وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله، وأقل ما في ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه وإن كان غيره أتقى الله منه، والواجب أن يكون المسلمون يدا واحدة، فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضلل غيره ويكفره، وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة، ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً، بل قد عفا الله لهذه الامة عن الخطأ والنسيان لاسيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الاسلام، مثل أن يكون على مذهب الشافعي، ثم بعد هذا قد يخالف في شيء، وربما كان الصواب معه، فكيف يُستحل عرضه ودمه أوماله؟ مع ما قد ذكر الله تعالى من حقوق المسلم والمؤمن»*.

ويقول العلامة الشاطبي رحمه الله : «إنّا نقطع بأن الخلاف في مسائل الاجتهاد واقع ممن حصل له محض الرحمة، وهم الصحابة ومن اتبعهم باحسان رضي الله عنهم، بحيث لا يصح إدخالهم في قسم

---

* مجموع الفتاوى (٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢١) بتصرف يسير.

المختلفين بوجه، فلو كان المخالف منهم في بعض المسائل معدودا من أهل الاختلاف ولو بوجه ما، لم يصح اطلاق القول في حقه: أنه من أهل الرحمة، وذلك باطل بإجماع أهل السنة»(١).

وروى ابن وهب عن القاسم بن محمد أنه قال: «لقد أعجبني قول عمر بن عبدالعزيز: ما أحب أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلفون، لأنه لو كان قولا واحدا لكان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان سنّة»(٢)، وهذا كله لا يعني أن ثمة اعراضا عن معرفة دليل المخالف أو الاستماع إليه أو اعتباره في النظر بأي وجه من الاعتبار لأن طريق المتمسك بالحق هو المناقشة الحرة والاستماع إلى دليل المخالف برحابة صدر واتساع أفق، والرد المشفق الذي يرجى فيه إرشاد المخالف وتبصرته لكي يكون التآلف والاجتماع لا التنافر والاختلاف، وما روح الإنصاف والبعد عن التعصب الذي شاع في كثير من فتاوى وكتابات الأئمة الأربعة عليهم رضوان الله عنّا ببعيد. فهذا الشافعي رحمه الله كان يقول: «**ما ناظرت أحداً على الغلبة**» وقال: «وما ناظرت أحداً إلّا وَددتُ أن الحق على لساني أو لسانه».(٣) فاللبيب عليه أن يتأمل بماذا يعود عليه الانتصار للقول والتعصب للرأي!!

---

(١) انظر الاعتصام للامام الشاطبي (٢/ ٣٩٤) ط الباز مكة المكرمة.

(٢) نفس المصدر (٣٩٥)

(٣) انظر الإمام الشافعي سلسلة اعلام المسلمين.

المسألة الحادية عشرة:

نموذج الداعية المجاهد

سئل شيخ الاسلام رحمه الله «عن سكني مكة والبيت المقدس والمدينة المنورة على نية العبادة والانقطاع الى الله تعالى والسكني بدمياط واسكندرية وطرابلس على نية الرباط أيهما أفضل؟ فأجاب: «بل المقام في ثغور المسلمين أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة، وما أعلم في هذا نزاعاً بين أهل العلم، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة وذلك لأن الرباط من جنس الجهاد والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحج كما قال تعالى: «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله . لا يستوون عند الله[1] »*

نعم لا يستوي سقاية الحجيج وسدانة البيت مع من آمن بالله وجاهد في سبيله، ولا المؤمن المتقاعس مع المؤمن المثابر، ولا الداعية المنعزل عن مجتمعه مع الداعية المخالط لهم الصابر على أذاهم من سخرية أو استهزاء، لا يستوي ذلك في ميزان الحق سبحانه وتعالى، إذ الدعوة لا تنهض على أكتاف رجال متقوقعين في صومعة المسجد أو في البيت أو في دعاء قلب لاهٍ ، كلا ولن تقوم للدعوة راية ولا سطوة حتى يبذل الدعاة كل غالٍ ورخيص في سبيل الله، وحتى يثابر الدعاة على ثغورهم ومواطنهم التي أنيطت بالمهام والمسئولية الشاقة، لكي يلقوا الله على ذلك وقد فازوا بإحدى الحسنيين، إما الغاية وإما الشهادة في

---

* مجموع الفتاوى (٢٨/٥).

(١) سورة التوبة: ١٩ .

النهاية، قال تعالى: «**من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلا**»[٢]، وقال تعالى: «**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة**»[٣] يقول الحسن البصري، بايعهم فأغلى لهم الثمن وانظروا إلى كرم الله، أنفساً هو خلقها، وأموالاً هو رزقها، ثم وهبها لهم، ثم اشتراها منهم بهذا الثمن الغالي فإنها لصفقة رابحة[٤]» ويأتي صاحب مدرسة القرن العشرين (حسن البنا) مُشخصاً لنا نموذج الداعية المجاهد بحق والمثابر بجدّ، فيقول: «أستطيع أن أتصور المجاهد شخصاً قد أعدّ عدته وأخذ أهبته وَمَلَك عليه الفكر فيما هو فيه نواحي نفسه وجوانب قلبه فهو دائم التفكير، عظيم الاهتمام، على قدم الاستعداد أبداً، إن دُعي أجاب، أو نودي لبى غدوه ورواحه وحديثه وكلامه وجدّه ولعبه لايتعدى الميدان الذي أعد نفسه له ولايتناول سوى المهمة التي وقف عليها حياته وارادته، يجاهد في سبيلها تقرأ في قسمات وجهه وترى في بريق عينيه وتسمع من فلتات لسانه ما يدلك على ما يضطرم في قلبه من جوى لاصق وألم دفين وما تفيض به نفسه من عزمة صادقة وهمة عالية وغاية بعيدة».

ثم يكمل ويقول : «وأما المجاهد الذي ينام ملء جفنيه ويأكل ملء ماضغيه ويضحك ملء شدقيه ويقضي وقته لاهياً لاعباً عابثاً ماجناً، فهيهات أن يكون من الفائزين أو يكتب في عداد المجاهدين[٥]» وهذا كلام كله حق وصدق نطق به إمام من أئمة الحق والصدق، فأحرى بنا كدعاة ومربين أن نترجمه إلى واقع نصبغ أنفسنا به ونربي أفرادنا عليه.

---

(٢) سورة الأحزاب/ ٢٣ .

(٣) سورية التوبة/ ١١١ .

(٤) صفوة التفاسير للصابوني (١/ ٤٩) ط قطر.

(٥) انظر حسن البنا يتحدث الى شباب العالم الاسلامي (ص٧).

المسألة الثانية عشرة:

الأدب مع المربي

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: «**وعلى المتعلم أن يحسن نيته في ذلك ويقصد به وجـه الله تعالى وعـلى المعلم أن ينصح للمتعلم ويجتهد في تعليمه، وعلى المتعلم أن يعرف حرمة أستاذه ويشكر إحسانه إليه فإنه من لايشكر الناس لايشكر الله**»*.

أجل هذا السلوك هو الذي تربى عليه ابن تيمية وغيره من الأئمة يوم كانوا طلاباً للعلم وفي طور التربية وفن المعاملة التي غابت عن بعض دعاة الصحوة الاسلامية اليوم، وما ينبغي لهـا أن تغيب عن منهاج تربية الأفراد وتقويم السلوك لاسيما أن دين الاسلام دين المعـاملة لادين المطاولة والتشهير وإساءة الأدب، فالمربي وصاحب التوجيه له مكانة خاصة، سواء كنت أيها المتعلم في خلوة معه أو أمام الناس فلا يغرنك تواضعه معك فتنسى الأدب معـه فالحرص على حفظ مكانته كمرب لك أجدر بالاحترام والتقدير لما يبذله معك من جهد، وما يتحمله في سبيل تربية الأفراد من عناء، وهناك عنصرٌ يجب أن يتوافر بين الفرد ومسؤوله إضافة إلى ما سبق، ألا وهو عنصر الثقة فبالثقة ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة وبإنتفائها تزول كل فضيلة سبق ذكرها إذ أن قوة نظام الجماعة وضعفها قائمة على الثقة المتبادلة بـين القائـد والجنـود فللقيادة حق الوالد بـالرابطة القلبيـة، والأستاذ بـالإفـادة العلمية،والشيخ بالتربية الروحية، والقـائد بحكم السيـاسة العـامة للدعوة، والثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات كما يقول الامام الداعية الكبير حسن البنا عليه رحمة الله[1].

---

* مجموع الفتاوى (١٣/٢٨).

(١) انظر مجموعة الرسائل (٣٦٤).

المسألة الثالثة عشرة :

طريق النجاة مرسوم وواضح

قال تعالى: «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة[1] يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في ظلال هذه الآية الكريمة: «وقرأ طائفة من السلف: «لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» وكلا القراءتين حق فإن الذي يتعدى حدود الله هو الظالم، وتارك الإنكار عليه قد يُجعل غير ظالم لكونه لم يشاركه، وقد يُجعل ظالما باعتبار ما ترك من الأنكار الواجب. وعلى هذا قوله: «فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون »[2] فأنجى الله الناهين، وأما أولئك الكارهون للذنب الذين قالوا «لم تعظون قوماً الله مهلكم أو معذبهم عذاباً شديداً»[3] فالاكثرون على أنهم نجوا لأنهم كانوا كارهين فانكروا ابحسب قدرتهم. وأما من ترك الإنكار مطلقاً فإنه ظالم يعذب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[4] وهذا الحديث موافق للآية والمقصودهنا أنه يصح النفي والاثبات بإعتبارين كما أن قوله: «لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» أي لاتختص بالمعتدين بل يتناول من رأى المنكر فلم يغيره ومن قرأ «لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» أدخل في ذلك من ترك الانكار مع قدرته

---

(١) سورة الأنفال : ٢٥ .

(٢) سورة الاعراف : ١٦٥.

(٣) سورة الاعراف : ١٦٤.

(٤) أخرجه احمد (١/٢،٥) .

عليه وقد يراد أنهم يعذبون في الدنيا ويبعثون على نياتهم*.»

إذن ليست ثمة طريق للنجاة غير طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنازعة أهل الباطل ومروجي الفساد لاسيما في هذا العصر المادي الذي طغت فيه الشهوات والرذائل على الفضائل والقيم الموروثة، مما يستوجب علينا نحن معاشر الدعاة القضاء على كل رذيلة وجرثومة تفتك في جسم هذه الأمة المنعوتة في القرآن الكريم «**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** »[5] فضلاً عن مسارعتها إلى تحكيم شرع الله، من قبل أن يجرفها العذاب الذي هو من سنة الله العامة في الكون كقانون يسري حكمه على الأفراد والأمم على حد سواء، وحسبنا بالأمم الغابرة... عظة وعبر....!!

---

* مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣) .

(٥) سورة آل عمران: ١١٠.

المسألة الرابعة عشرة :

قوة القلب من قوة الإيمان

يقول شيخ الاسلام «**وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له وعرف حقائقها من بواطلها وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف وذلك مثل السراج القوي والسراج الضعيف في البيت المظلم، ولهذا قال بعض السلف في قوله تعالى: «نورٌ على نور»[1] قال هو المؤمن ينطق بالحكمة المطابقة للحق وإن لم يسمع فيها بالأثر فإذا سمع فيها بالأثر كان نوراً على نور. فالإيمان الذي في قلب المؤمن يطابق نور القرآن***».

لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها انقسم بحسب ذلك الى قلب سليم وقلب سقيم، فالقلب الصحيح هو الذي ينجي صاحبه في الدنيا وما بها من فتنٍ ومحن، وفي الآخرة يوم لاينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إذ قوامه محبة الخالق جل وعلا والانابة إليه وتفويض الأمر إليه، إخباتاً وخشية ورجاءً واخلاصاً، فهو إن أحب أحب في الله لا في جمال ومال، وإن أبغض في الله لا في حظ وتسلط، وإن أعطى أعطى لله لارياءً وسمعة، وإن منع منع لله... وعلى النقيض من ذلك القلب الميت والمريض إذ كلاهما ينصب على محبة الشهوات وايثارها والحرص على تحصيلها من العجب والجسد وحب الغلو والفساد في الأرض، والذي يعنينا على وجه الخصوص هو القلب المريض حيث هو الآفة التي تعتري قلوب بعض الدعاة أصحاب الفتور الإيماني وهزال الروح الذين

---

(١) سورة النور : ٣٥ .

* مجموع الفتاوى (٢٠/٤٥ ـ ٤٦) .

يعيشون بين مادتين، مادة فيها حياة كحب الله والايمان به، ومادة بها علة كحب البروز والإسراف في المباح والميل الى الشهوات والدعة والراحة. والاصغاء الى ما يلقيه الشيطان من الشبه والشكوك كعدم كفاءة القائمين على العمل الاسلامي، وأن تحقيق النصر والأهداف محال وغيره، مما يزيده ضعفاً في القلب ووهناً في البدن وبعداً عن جادة الصواب. قال تعالى: «**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيَّته فينسخُ الله ما يُلقي الشيطان ثم يُحكم الله آياته والله عليمٌ حيكمٌ. ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرضٌ والقاسية قلوبهم وإنَّ الظالمين لفي شقاق بعيد. وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتُخبت له قلوبهم وإنّ الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم**»[٢].

---

(٢) سورة الحج: ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ .

المسألة الخامسة عشرة

الرياء نقطة انحراف خطيرة

يقول ابن تيمية رحمه الله: «**وإذا كان العبد مخلصاً له اجتباه ربه فيحيي قلبه، واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من حصول ضد ذلك بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإنه في طلب وإرادة وحب مطلق، فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه (كالغصن) أي نسيم مرّ بعطفه أماله فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة، فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذه هو عبدا له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذماً، وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة، ويستعبده الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب، والقلوب تهواها، فيتخذ إلهه هواه ويتبع هواه بغير هدى من الله***» .

إن بداية استفحال هذا الداء الخطير يكون في حال شعور العبد بالكمال والأفضلية والإعجاب بالأعمال التي قام بأدائها، فيجعلها ردءًا ومفخرة أمام الغير، متناسياً افتقاره وتقصيره تجاه جنب الله، يقول الداعية العامل فتحي يكن «إن أسباب وخلفيات التساقط على طريق الدعوة، هو داء الغرور وحب الظهور، وهو داء عُضال يفتك بالدعاة فتكاً يحبط عملهم ويمحو ثوابهم ويشقي عاقبتهم. ولو أن هؤلاء نظروا فيمن سبقهم واعتبروا بمن قبلهم لما وقعوا فيما وقعوا فيه ولما سقطوا في الامتحان الذي سقط فيه إبليس اللعين وكان من الخاسرين»[1] لذا كان

---

* مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١٦).

(١) المتساقطون على طريق الدعوة كيف ولماذا؟ فتحي يكن (ص ٩٤ ـ ٩٥) .

لزاماً على العاملين في حقل الدعوة الاسلاميـة، أن يتنبهوا لهذا الداء المخيف، ويصقلوا الناشىء والقديم من الأفراد على التجرد لله وكُره حب الذات. سواء أكان على صعيد العمل السياسي أم التربوي، تأسياً بهدي السلف الصالح ووصاياهم يروي أن أبابكر الصـديق رضي الله عنه أرسل كتاباً إلى خالد بن الوليد بعد انتصاراته في العراق أن «ليهنئك أبا سليمان النية والحُظْوة فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنّك عُجبٌ فتخسر وتخذل، وإياك أن تُدِلّ بعمل، فإن الله له المنّ، وهو وليّ الجزاء»[٢] يأمره بدوام النية والعمل دون توقف أو فتور عن السير ، ويحذره من الرياء والسمعة، إذ هو طريق الخذلان والسقوط وقال الزهري رحمه الله «ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرياسة. ترى الرجل يزهد في المـطعم والمشرب والمال، فإذا نوزع الرياسة حامي عليهاوعادى»[٣] تلك حال المرائي، طهر الله قلوب الدعاة من الرياء،وجعل أعمالهم خالصة لوجهه الكريم...» .

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٥) باختصار...

(٣) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي.

المسألة السادسة عشرة:

الضابط الشرعي في التكفير والتفسيق

يقول شيخ الاسلام : «ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً من أن ينسب معين إلى تكفيروتفسيقومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاًأخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لابكفر ولا بفسق ولامعصية»*.

هذه قضية أصولية في العمل الاسلامي عَدَلَ في فهمها الكثير من الدعاة عن جادة الصواب، فتارة يحكم أحدهم بالكفر على أخيه المسلم لمجرد مخالفته لقضية اعتقادية كلٌ له برهانه ودليله، وتارة يحكم عليه بالفسق والمعصية لقضية فرعية يتعذر فيها الجمع على قولٍ واحد، بل الأدهى من ذلك والأمر أن أحدهم يدعي لنفسه ولجماعته سلامة الاعتقاد والإجتهاد مطلقاً، ولغيره مظنّة الخطأ والزلل، متجاهلاً هدي القرون الأُوَلْ من الصحابة والتابعين، فهذه عائشة وغيرها من الصحابة كانوا يتنازعون في رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لربه حتى أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، ومع هذا لا تقول لابن عباس وغيره من المنازعين لها أنه مفتر على الله، يقول صاحب متن الطحاوية [1] مبينا الضابط

---

* مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).

(١) هو الإمام أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزْديْ الطحاوي.

الشرعي في التكفير والتفسيق وعدمه: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله» لقوله صلى الله عليه وسلم: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له مالنا وعليه ما علينا»[٢] ويوضح لنا شارحها[٣] بقوله: وأما الشخص المعين إذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة فإن من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لايغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، لأن الشخص المعين، يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله .

ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص[٤]» ومن هنا فنحن لانكفر مسلماً أقرّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض، برأي أو بمعصية إلا إن أقرّ بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة كالصلاةو والزكاة ونحوهما...

---

(٢) أخرجه البخاري ؛١/٤٩٦).

(٣) هو العلامة علي بن أبي العز الأذرُعيْ.

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٣٥٧ ـ ٣٥٨) بتصرف يسير.

المسألة السابعة عشرة:

الصغائر ذريعة إلى الكبائر

يقول شيخ الاسلام قدس الله روحه:

«فإن أصر على النظر وعلى المباشرة صار كبيرة وقد يكون الاصرار على ذلك أعظم من قليل الفواحش فإن دوام النظر بالشهوة وما يتصل به من العشق والمعاشرة والمباشرة قد يكون أعظم بكثير من فساد زناً لا إصرار عليه ».*

كيف لا ونحن نرى بحوادث الزمن تتقلب بأهلها فيصبح الرجل منهم مؤمناً ويُمسي كافراً أو فاسقاً من جراء تهاونه، واستحقاره للمحقرات من الذنوب، سئل عبدالله ابن أحمد بن حنبل عن رجل تاب وقال: «لو ضُرب ظهري بالسياط ما دخلت في معصية الله إلا أنه لا يَدع النظر فقال أي توبة هذه»[1]، وكان عيسى بن مريم يقول: النظرُ يزرعُ في القلب شهوة وكفىٰ بها خطيئة، وكفى بها لصاحبها فتنة»[2] ولله درُّ الشاعر حين قال:

كل الحوادث مبدأها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم من نظرة بلغت في قلب صاحبها
كمبلغ السهم بين القوس والوتر

ويقول ابن القيم رحمه الله (والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب

* مجموع الفتاوى (١٥/٢٩٣) .
(١) ذم الهوى لابن الجوزي (ص٨٥).
(٢) نفس المصدر (ص٩١) .

الإنسان فان النظرة تولد الخَطْرة ثم تولد الخطْرة فكره ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة ارادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولابد مالم يمنع منه مانع[3] فاحذر يا أخي وفقك الله من شر النظر والخاطر فإن من راقب الله في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه.

وقال رجل لابن المبارك رحمه الله: أوصني فقال له: اترك فضول النظر توفق للخشوع، واترك فضول الكلام توفق للحكمة واترك فضول الطعام توفق للعبادة واترك التجسس على عيوب الناس توفق للاطلاع على عيوب نفسك واترك الخوض في ذات الله تواق الشك والنفاق[4]» قال تعالى:

[قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبيرٌ بما يصنعون][5].

---

(٣) الجواب الكافي (٢٢٤).

(٤) عبدالله بن المبارك سلسلة اعلام المسلمين للأستاذ محمد عثمان جمال (١٨٨).

(٥) سورة النور (٣٠).

المسألة الثامنة عشرة:

لا وَكْسَ ولا شَطَطَ*

يقول الشيخ رحمه الله: «والشيطان يريد من الانسان الاسراف في أموره كلها فإنه إن رآه مائلاً إلى الرحمة زين له الرحمة حتى لا يبغض ما أبغضه الله ولا يغار لما يغار الله منه. وإن رآه مائلاً إلى الشدة زين له الشدة في غير ذات الله حتى يترك من الاحسان والبر واللين والصلة والرحمة ما يأمر بـه الله ورسوله ويتعـدى في الشدة فيـزيد في الذم والبغض والعقاب على ما يحبه الله ورسوله فهذا يترك ما أمر الله به من الرحمة والاحسان وهو مذموم مذنب في ذلك ويسرف فيما أمر الله به ورسوله من الشدة حتى يتعدى الحدود وهـو من اسرافـه في أمره، فالأول مذنب، والثاني مُسرف قال تعالى: «**والله لا يحب المسرفين**».(١)

إن قضية الاسراف وعدم التوازن والاعتدال التي أشار إليها ابن تيمية لجديرة بالاهتمام لاسيما أن السمة الواضحة في الاسلام قائمة على التوازن والاعتدال في شتى شؤون الحياة الانسانية، إلا أنه مع وضوح هذا الميزان نجد أن بعض الدعاة والعوام لايحسن السياسة مع نفسه. فأحدهم يصل به الحال إلى أنه يعتمد على رحمة الله وعفوه مقابل تفريطه في أمر الله ونهيه، وينسى أن الله شديد العقاب، وأنه لا يردُ بأسه عن القوم المجرمين، وآخر يغالي في تربية نفسه فيمنع عنها النوم والطعام وامتاع المباح متجاهلاً في ذلك قول الداعية الأول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم: «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني

---

(١) معناه لا نقصان ولا زيادة/ انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٤٥٤ .

* مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٩٢)

أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

يقول الامام ابن الجوزي : « إن سياسة النفس تحتاج إلى صناعة عجيبة فإن أقواماً اطلقوها فيما تُحب فأوقعتهم فيما كرهوا، وإن أقواماً بالغوا في خلافها حتى منعوها حقها وظلموها وأثّر ظلمهم لها في تعبداتهم، فمنهم من أساء غذاءها فأثّر ذلك في ضعف بدنها عن إقامة واجبها، ومنهم من أفردها في خلوة أثمرت الوحشة من الناس وآلت إلى ترك فرض أو فضل كعيادة مريض أو برّ والدة[2]» ومن هنا وجب على الحازم لاسيما المربي والمعلم، أن يَعلم أن لكل شيء حداً و معياراً لانقص فيه ولا مغالاة، وإبليس اللعين لايعبأ بأيهما ظفر فكان خير الأمور أوسطها...

---

(١) أخرجه البخاري (الفتح ٩/ ١٠٤)

(٢) صيد الخاطر/ ١٤١ لابن الجوزي.

المسألة التاسعة عشرة:

صلاح الظاهر من صلاح الباطن

يقول الشيخ رحمه الله :

«والقرآن مملؤ من ذكر أحكام الباطن والظاهر، والباطن أصل الظاهر كما قال ابو هريرة (القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طاب جنوده، وإذا خبث الملك حبثت جنوده» لما كان القلب هو الملك وكان صلاحه صلاح جميع رعيته، كان أولى بالتقديم على سائر الأعضاء لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن في الجسد مضغه إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب)** .

والقلب إذا استغنى بما فاض عليه من مواهب ربه وعطاياه، خلع على الأمراء والرعية خلعا تناسبها، فخلع على النفس* خلع الطمأنينة والسكينة والرضا والإخبات فأدت الحقوق سماحة لا كظماً بانشراح ورضاً ومبادرة وذلك لأنها جانست القلب حينئذ ووافقته في أكثر أموره واتحد مرادهما غالباً فصارت له وزير صدق بعد أن كانت عدواً مبارزاً بالعدواة فلا تسأل عما أحدثت هذه الموازرة والموافقة من طمأنينة ولذة عيش ونعيم من نعيم أهل الجنة، ولايعني هذا أن الحرب تضع أوزارها فيما بينهما بل عدتها وسلاحها كامن متوارٍ لولا قدرة سلطان القلب وقهره لحاربت (الجوارح) بكل سلاح، فالمرابطة على تغيري الظاهر

** مخرج في الصحيحين بهذا اللفظ أو نحوه * مجموع الفتاوى (١٣/٢٦٨).

* (فخلع على النفس أي أعطاها وألبسها) انظر المعجم الوسيط المجلد الأول مادة (خ ل ع).

والباطن فرضٌ متعين مدة أنفاس الحياة»[1] وقيل: إن القلوب أوعية فإذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح[2]» فكن يقظاً أيها الداعية المربي من خطرات القلب ووسوسة الصدر، فالقلوب خلقها الله مساكن للذكر فلا تفسدها بالشهوات والملذات، وإنما عليك بقراءة القرآن وتدبره، وبقيام الليل والتضرع وقت السحر فنعم الزاد هو في صلاح الظاهر والباطن معاً..

قال تعالى: «**ان الله لا يُغيرُ ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم** »[3].

وكتب عمر الفاروق رضي الله عنه إلى أبي موسى الاشعري كتباً فيه: «وأنه من صَلُحتْ سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس»[4].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤٠) للعلامة ابن القيم الجوزية بتصرف يسير.

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي (٦٦).

(٣) سورة الرعد!!

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/١٣٣) .

المسألة العشرون :

حاجة المربي الى العزلة الإيمانية

يقول الشيخ رحمه الله: «**ولابد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكيره ومحاسبة نفسه واصلاح قلبه وما يختص به من الأمور التي لايشركه فيه غيره فهذه يحتاج فيها إلى انفرده بنفسه إما في بيته كما قال طاووس· «نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره ولسانه »وأما في غير بيته**»*.

وذلك كأن يكون في مسجد أو بستان ونحوه، لأن الداعية حال اختلاطه بأهل الغفلة من الناس أو حال انصبابه على تكاليف الدعوة، لابد أنه سيشعر بالجفاف والقشوة، والتفريط بالورد اليومي، نظراً لكثرة الواجبات وقلة الأوقات، إلا أن هذا لايمنع من اعطاء هذه النفس حظها من التربية والترويض على الطاعات كما كان هدية صلى الله عليه وسلم يُقيم من الليل حتى تتفطر قدماه، وأصحابه من بعده كانوا كذلك حتى وصفوهم أنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار ولاتعني فروسيتهم بالنهار قتالهم للأعداء فحسب؟ بل تشمل معنى أوسع كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول استاذنا الفاضل محمد سعيد البوطي «إن تربية محبة الله عز وجل في القلب هي منبع التضحية والجهاد، وأساس كل دعوة متأججة صحيحة، ومحبة الله تعالى لا تأتي من مجرد الإيمان العقلي به، فالأمور العقلانية وحدها ما كانت يوماً ما لتؤثر في العواطف والقلوب ولو كان كذلك لكان المستشرقون في مقدمة المؤمنين بالله ورسوله، ومن هنا ندرك أن الوسيلة الى محبة الله تعالى بعد الايمان

---

* مجموع الفتاوى (١٠/٤٢٦) .

به هي كثرة التفكير في آلائه وَنِعَمه والتأمل في مدى جلاله وعظمته، ثم الاكثار من ذكره سبحانه وتعالى بالقلب واللسان، وإنما يتم كل ذلك بالعزلة والخلوة والابتعاد عن شواغل الدنيا وضوضائها في فترات متقطعة متكررة من الزمن»(١) ويقول أحد القادة المربين في شأن الدقائق الغالية «إن سجود المحراب، واستغفار الأسحار، ودموع المناجاة: سيماء يحتكرها المؤمنون، ولئن توهم الدنيوي جناته في الدنيا، والنساء والقصر المنيف، فإن جنة المؤمن في محرابه»(٢) وإن دعوة الاسلام اليوم لاتعتلي حتى يذكي دعاتها شعلهم بليل فيبددوا بأنوارهم الربانية ظلمات جاهلية القرن العشرين، وتلك هي وصية الامام البنا حين خاطب الدعاة فقال: «دقائق الليل غالية فلا ترخصوها بالغفلة ».

لكننا وللأسف الشديد أرخصنا الدقائق الغالية باللهو واللغو والنوم عن صلاة المجاهدين «الفجر» فثقل المغرم ولم يجعل الله لنا من أمرنا يسراً، وكأن النصر حُجب عنّا لأننا نادينا من وراء الحجرات، وجهرنا رافعين أصواتنا نوجب على الله لنا هذا النصر بإدلال، نبيعه ونثبت لنا حقاً عاجلاً في الثمن من دون أن نقدم بين يدي بيعنا همساً في الأسحار ولا الدمع المدرار وإنما النصر هبة محضة يُقر الله بها عين من يشاء من رجال مدرسة الليل في الحياة الدنيا ولا ينقص من أجرهم في الآخرة شيئاً»(٣) .

---

(١) فقه السيرة (ص٨٠) د. محمد سعيد البوطي بتصرف يسير.
(٢) الرقائق للراشد (٢٧).
(٣) نفس المصدر (٣٢ ـ ٣٣) بتصرف.

المسألة الحادية والعشرون

إنه قطب القرآن

يقول شيخ الاسلام:

«اخلاص الدين لله هو الدين الذي لايقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئملا أهل الايمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبويـة وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه(*)».

مصداقاً لقول الحق جل وعلا «وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة»[1] أي دين الاستقامة الذي لا اعوجاج فيه ولا حيف، ذلكم الاسلام صاحب الريادة في سعادة البشرية وصاحب الحضارة العريقة الذي أفـاض خيره على الانسانية جمعاء، فطائفة ارتوت وترعرعت من خيره وفضله كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وأخرى أنكرت الجميل» كأوربا وأجفادها بعدما ترعرعت في ظلاله واخذت حظها منه، فصارت تنسب الفضل لها، بل وتنقص من شأنه وتشكك فيه كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ولا بقاء، إذ أن دعاة الجاهلية واللادينية لايريدون للبشرية أن تنفرد في اخلاص الدينونة لله وحده من «الحاكمية والسلطان» لأنها تصطدم اصطداماً مباشراً بالقاعـدة التي تقوم عليها جاهليتهم وهي دينونة العباد للعباد، إنها المعركة إذن بين وجودين لايمكن أن يكون بينهما تعايش أو سلام، لأن كلا منهما

---

* مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٩) .

(١) سورة البينة: ٥ .

يقوم على قاعدة مناقضة تماما للقاعدة التي يقوم عليها التجمع الآخر»[٢].

حقا انها حقيقة غفل عنها بعض الدعاة والمشايخ، إما خوفا من طاغية جائر أو جهلا بمنهج السلف الأوائل، فنجدهم يحصرون هذا المفهوم العظيم في محاضراتهم وخطبهم في إطار التعبد فقط وحسبهم من علماء وأحبارُ سوء، ولله درّ القائل :

«وهل بدَّل الدين إلا الملوك
وأحبار سوء ورهبانها
لقد رتع القوم في جيفة
يبين لذي العلم إنتانها[٣] »

---

(٢) الظلال (٤/ ٢١٠١) لسيد قطب بتصرف.

(٣) عبدالله بن المبارك سلسلة أعلام المسلمين للأستاذ محمد عثمان جمال.

المسألة الثانية والعشرون

نعمتا الشكر والاستغفار

يقول شيخ الاسلام رحمه الله:

«فالعبد دائما بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلى الاستغفار، وكل هذه أمور لازمة للعبد دائما فإنه لايزال يتقلب في نعم الله وآلائه ولايزال محتاجاً الى التوبة والاستغفار*» .

إن الظروف السيئة التي تمر بالدعوة أحياناً تفرض علينا معاشر المربين، المزيد من الاهتمام التربوي - جنوداً وقياديين - وليس العكس!! إذ من المنطق الذي يجب رفضه بالكلية منطق اعتبار بعض الاشخاص فوق التربية والنصيحة والتوجيه أو أنهم تجاوزوا بحد زعمهم مرحلة التربية كما نسمع من أفواه بعض المنتسبين للعمل الاسلامي... وما علم هؤلاء أن هذا المنطق هو الذي أورد الكثير من الدعاة موارد التهلكة والسقوط، فضلا عن أنه يتناقض بالكلية مع الاسلام وفلسفته التربوية التي تعتبر الانسان في امتحان دائم مع دعوته وفي اختبار مستمر مع دينه... والتي تفرض عليه دوام العناية بنفسه والرقابة لربه والتعهد لسلوكه والتنمية لإيمانه »[1] إذ القلب كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم «بين أصبعين من أصابع ربِّ العالمين إذا شاء أن يقيمه أقامة وإذا شاء أن يزيغه أزاغهُ»[2] ومن هنا

---

* مجموع الفتاوى (١٠/٨٨).

(١) المتساقطون على طريق الدعوة كيف ولماذا/ للداعية فتحي يكن ص(٥٥) بتصرف يسير.

(٢) انظر شرح السنة للامام البغوي (١/١٦٦) .

فالحركة التي تقوي من قدرتها التربوية من خلال متابعة أفرادها ـ كل فرد على حده، وبما يحتاجون من تعهد وتربية، بلا شك ستُصقل بُنيتها ويقوى عودها واعضاؤها، ويصير ارتباط الفرد وانتماءه للحركة قائماً على أساس متين من ارتباطه بالله وبالاسلام. ويروى أبو هريرة رضي الله عنه عن سيد المرسلين وامام المجاهدين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» وفي رواية «مائة مرة»[٣] تعليماً لاتباعه وأفراده على هذا السمت الايماني وعلى ضرورة المحافظة عليه لاسيما القدوات وأصحاب المهمات. وكان الحسن البصري يخاطب رواد المدرسة الخاصة بهم ويقول «حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور»[٤]. وكأنه أراد أن يشير الى أهمية المتابعة والاستمرار في عملية تقوية القلوب وترويضها على الشكر والاستغفار، بسبب سرعة ما يعتري هذه القلوب من جراثيم الدثور وبراثيم الآثام الحالكة في ظلام الفتنة وغمرة الغفلة.

---

(٣) اخرجه البخاري (الفتح ١١/١٠١) .
(٤) ذم الهوى لابن الجوزي.

المسألة الثالثة والعشرون

مدار الشجاعة إلى أين؟؟

يقول الشيخ قدس الله روحه: «**والشجاعة ليست هي قوة البدن، وقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال وعلى قوة القلب وخبرته به، والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة دون التهور الذي لايفكر صاحبه ولايميز بين المحمود والمذموم ولهذا كان القوي الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح*** ».

إن الناظر إلى مزايا الشريعة الاسلامية يجد أنها حرصت على التوازن والاعتدال في الأمور كلها، فهي لاتعير جانب اهتمامها على القلب فقط وإن كان هو الأصل، بل تطالب أتباعها في اعداد القوة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، لكنها مع هذا وذاك تحذر من استعمال القوة والبطش في كل شيء لاسيما في دعوة الآخرين إلى الإسلام سواء أكان ذلك على صعيد القتال أو الحجة والبيان فالشريعة الغراء نجد أنها وضعت الضوابط والقيود قبل البدء بالقتال، أولى هذه الضوابط دعوة الجاحدين إلى الاسلام قبل قتالهم، عن ابن عباس قال: «ما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً حتى يدعوهم»[1] وأيضا عن طلحة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل المشركين حتى يدعوهم »[2]. وأما ما كان من قبيل الحجة والبيان

---

* مجموع الفتاوى (٢٨/١٥٨)

(١) اخرجه احمد (١/ ٢٣١، ٢٣٦).

(٢) انظر العلاقات الخارجية في دولة الخلافة. (١٦٠) د. عارف أبو عبيد.

فإليك هذا النص القرآني الجامع المانع «ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن[٣] .» . فالداعية لاتكون دعوته بمفاصلة الناس وإقامة الحجة عليهم، وإنما بأخذ كافة الأسباب التي تؤدي إلى هدايتهم... فهو من موقع الحب لهم والغيرة عليهم والرحمة بهم يكابد من أجل استنقاذهم من حمأة الجاهلية وشقوتها إلى نعيم الاسلام... ولذلك فهو لايسارع إلى مدابرتهم ومقاطعتهم ومفاصلتهم، وهذا كله يحتاج منه إلى حلم؛ ورفق[٤]» ولله درّ بعض السلف حين قال: «ما تجرع عبدٌ جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب، وجرعة صبرعند المصيبة» لذلك كانت وصية خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه «لا تغضب» رددها له مراراً لأنه كان يعلم من هذا الرجل، التهور وسرعة الغضب فخصّه بهذه الوصية؛ وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم الذي يملك نفسه عند الغضب فقال:

«ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٥] تلك هي القاعدة الاصلية لمعرفة ماهية الشجاعة وحقيقتها التي تستوجب علينا معاشر الدعاة فهمها وكيفية ممارستها، حتى ندرأ عن الدعوة الاسلامية كل تهور أو متهور لايحسن فهمها، لاسيما وان ميادين الدعوة كشفت لنا الكثير من الأخطاء التي أودت بالحركات الاسلامية الى أسوأ النتائج وأوخم العواقب وأقبح النهايات، حين تورط بضع عشرات من الشباب المتهور في بلد اسلامي في حمل السلاح لمقاومة حكم باطني إلحادي دون أخذهم بسُنن النصر وأسبابه.

يقول الداعية عبدالله علوان في ترشيده للشباب المسلم «فحذار يا شباب من الحماس والتهور والاندفاع وأنتم مازلتم بعد في مرحلة الضعف والاعداد، وحذار من الاستفزاز والتحدي واستخدام القوة،

---

(٣) سورة النحل: ١٢٥ .

(٤) الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية للاستاذ فتحي يكن (٣٤) .

(٥) شرح الأربعين للامام ابن دقيق العبد / الحديث السادس عشر بتصرف.

قبل الأخذ بسُنن النصر وتكامل مراحله وأسبابه، فإن فعلتم ذلك يـا شباب فإنكم تسيرون على طريق العمل الاسلامي في مراحل متدرّجة محكمة مأمونة موصلة بتوفيق الله الى عزّ تليد ومجدٍ أغر وكيان مرموق والله مع العاملين المخلصين»[٦].

(٦) انظر ماذا عن الصحوة الاسلامية في العصر الحديث (٧٢ ـ ٧٣) د. عبدالله علوان .

المسألة الرابعة والعشرون

« هذه الجادة فأين السالك »

يقول الشيخ رحمه الله: «**ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من الابتلاء والمحن ما يعرض المرء للفتنة صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة كما قال الله عن المنافقين» «ومنهم من يقول إئذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا »**[1]*.

روى محمد بن اسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن قتادة وغيرهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه «أي لغزوة تبوك» للجد بن قيس اخى بني سلمة، هل لك ياجدّ العام في جلاد بني الاصفر «يعني الروم»؟ فقال يا رسول أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجبا بالنساء مني، وأني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال قد أذنت لك، ففي الجد بن قيس نزلت هذه[2].

ويعلق الاستاذ سيد قطب رحمهُ الله على هذه الحادثة فيقول «والتعبير يرسم مشهدا كأن الفتنة فيه هاوية يسقط فيها المفتونون والمتخلفون وأهل المستوى المنحط من المعاذير، لتكشف لنا خبث هذه النفوس وطبيعتها، وبأنهم لا يريدون «المنافقون» بالرسول خيرا ولا

---

(١) سورة التوبة آية / ٤٩

* مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) تفسير الحافظ بن كثير (٢/ ٣٦١ـ٣٦٢) ط دار المعرفة بيروت.

بالمسلمين بل يسؤوهم إن وجدوهم على الخير والنصر، وما علم هؤلاء أن الله قد كتب للمؤمنين النصر ووعدهم به في النهاية فمهما يصيبهم من شدة ومهما يلاقوا من ابتلاء، فهو إعداد للنصر الموعود، ليناله المؤمنون عن بينة وبعد تمحيص، وبوسائله التي اقتضتها سنة الله، نصراً عزيزاً لا رخيصاً»[٣] ولقد كانت وصية مجدد القرن العشرين «حسن البنا» الى الفئة من شباب الدعوة المتقاعسين المتباطئين، «أيها الشباب لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين، ولربما النصر يطول ويشق على النفوس، لكنها تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فحقائق اليوم أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد، ولازال في الوقت متسع، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة، والا فعليه النهوض والتريث في العمل حيث ليس مع الجهاد راحة «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين »[٤].

---

(٣) الظلال للاستاذ سيد قطب (٣/ ١٦٦٤) بتصرف.

(٤) سورة العنكبوت آية: ٦٩ / مجموعة الرسائل للامام البنا بتصرف.

المسألة الخامسة والعشرون:

وصية القائد لجنود الدعوة

يقول الشيخ رحمهُ الله : **كل ما يقضيه الله تعالى فيه الخير والرحمة والحكمة، إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو القوي العزيز العليم الحكيم ولايدخل على أحد ضرر إلا من ذنوبه «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك»**[1] **فالعبد عليه ان يشكر الله ويحمده دائماً على كل حال، ويستغفر من ذنوبه، فالشكر يوجب المزيدمن النعم والاستغفار يدفع النقم*»**

تلك هي وصية ابن تيمية التي تضمنتها رسالته التي بعث بها الى جماعته واتباعه، حين كان مسجوناً في قلعة دمشق ظلماً وزوراً، وهكذا تكون سنة الله في الدعاة المخلصين حيث البلاء والتنكيل والتشريد والحبس، قال تعالى: «**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساءُ والضراءُ وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصرالله ألا إن نصرَ الله قريب**»[2].

إن دخول الجنة لايكون الا بعد الاعداد والتمحيص والدفاع عن العقيدة الاسلامية وإن لقوا في سبيلها العنت والألم والشدة والضر والتراوح بين النصر والهزيمة أو المحنة والفتنة، ليكونوا أهلا لدخول

---

(١) سورة النساء، ية : ٧٩.

* مجموع الفتاوى (٢٨/٤٧ ـ ٤٨) .

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٤ .

الجنة وأهلا للنصر حال ثباتهم على عقيدتهم دون تزعزع أو استكانة، والمتأمل للوصية التي بعثها. ابن تيمية لاتباعه يجد فيها التركيز على عاملين من عوامل النصر او الهزيمة حال التفريط بهما آلاهما «الشكر والحذر من الذنوب» ... إذ بهما يدفع الله النقم عن الجماعة المسلمة، ويـزيـد لهـا مـن النـعـم والنصر الأعـزْ ويجد فيها أيضا التسليم المطلق من القائد لقضاء الله وحكمته فضلا عن عظيم ثباته على المبـدأ وعمق ايمانـه به، وهـو يخاطب الاعـداء ويطمئنهم بكلماته النورانية يوم توهموا أن في سجنه سلباً لسعـادته وحريته وموتا لدعوته ومنهجه، فيقول «وما يفعل بي أعدائي إن سجني خلوة ونفي سياحة وقتلي شهادة» نعم هكذا ينبغي للقادة في كل زمان ومكان، أن يرددوا تلك الكلمات النورانية وأن يستوعبوا في تصوراتهم حقيقتها وكنهها، ليكونوا أمثلة حيّة لاتباعهم وقدوة حسنة لجنودهم إذ القيادة بمثابة الراحلة التي تقود أي قطاع من القطاعات، فضلاً عن أنها جزء من الدعوة وأنها على قدر صلتها بالله يكون الانقياد والثقة والثبات والتضحية من القاعدة «الجنـود» قال تعـالى «فلا وربـك لا يؤمنون حتى يحكمون فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في نفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما»(٣) .

---

(٣) سورة النساء ، آية : ٦٥ .

المسألة السادسة والعشرون

اعظم البلاء

يقول شيخ الاسلام : «ومن أعظم البلاء إعراض القلب عن الله فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والاخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا ألذ ولا أطيب والانسان لا يترك محبوبا الا بمحبوب آخر يكون أحب اليه منه أو خوفا من مكروه فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح أوبالخوف من الضرر*» قال تعالى «ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله[1] » نعم إن من أحب شيئا سوى الله عز وجل فالضرر حاصل له بمحبوبه إن وجد وان فُقِد، فإنه إن فقده عُذب بفواته وتألم على قدر تعلق قلبه به، وإن وجده كان ما يحصل له من الألم قبل حصوله، ومن النكد في حال حُصوله، ومن الحسرة عليه بعد فوته أضعاف، أضعاف ما في حصوله له من اللذة.

فما في الأرض أشقى من محبٍ ... وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكياً في كل حال ... مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إن نأوا شوقا إليهم، ... ويبكي إن دنوا حَذَر الفراق

---

* مجموع الفتاوى (١٠ / ١٨٧) .

(١) سورة البقرة (١٦٥)

فتسخن عينه عند التلاقي
وتسخن عينه عند الفراق(٢)

وهذا الأمر ملموس بالاستقراء والاعتبار والتجارب. ولهذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله تعالى وما ولاه وعالم أو متعلم[٣] » «فذكرهُ جميع أنواع طاعته فكل من كان في طاعته فهو ذاكر له وإن لم يتحرك لسانه بالذكر وكل من والاه الله فقد أحبه وقربه، فاللعنة لاتنال ذلك بوجه، وهي نائلة كل ما عداه[٤].

فلهذا قال بعض السلف: «رأيت العبد ملقى بين الله سبحانه وتعالى وبين الشيطان فإن اعرض الله عنه تولاه الشيطان، وان تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان» وهذا لايكون الا حال عدم اعراض العبد عن الله، أما إن أظهر اعراضه عن الله فبدون أدنى شك تولته الشياطين واستحوذته وأودعت في قلبه الشرك الأعظم الا وهو تعلق القلب بغير الله، والله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء، إذ أصل الشرك بالله هو الاشراك مع الله في المحبة والموالاة[٥]. فاحذر أيها السالك من مغبت الهوى والاعراض عن الهدى واتعظ بمصير من مضى..

(٢) اغاثة اللهفان لابن القيم الجوزية (١/ ٣٩ ـ ٤٠) .
(٣) رواه الترمذي رقم (٢٣٢٢) وقال هذا حديث حسن غريب.
(٤) ابن القيم اغاثة اللهفان ١/ ٤٠.
(٥) الجواب الكافي لابن القيم الجوزية / ٢٧٢ بتصرف.

المسألة السابعة والعشرون

لزوم الاستقامة

يقول الشيخ قدس الله روحه: «قال سهل ابن عبدالله التستري «ليس بين العبد وربه طريق أقرب إليه من الافتقار» وما حصل فيه الهدى في الماضي فهو محتاج إلى حصول الهدى فيه في المستقبل، وهذا حقيقة قول من يقول ثبتنا واهدنا لزوم الصراط »*

إن العبد بغير تذلّله وخضوعه واستعانته بالله لايمكن له مواصلة السير ولزوم الطاعة وهجران المعصية ومقارعة الباطل وتبديد ظلام الجاهلية بنور الشريعة الألهية، قال تعالى: « يـأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنُلقي عليك قولا ثقيلا»[1] كيف لايكون قولاً ثقيلا على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى حملة الدعوة والاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب، ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات لثقيل يحتاج الى استعداد طويل من قيام لليل والناس نيام وانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها، واتصال بالله وتلقي فيضه ونوره والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل آياته واستقبال اشعاعاته وإيحاءاته وايقاعاته في الليل الساجي... لأن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول صلى الله عليه وسلم وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل، لينير القلب في الطريق الشاق الطويل،

---

* مجموعة الفتاوى (١٠/ ١٠٨) .

(١) سورة المزمل ٥ .

ويعصمه من وسوسة الشيطان والتيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير»[2] قال رجل لابن عباس: اوصني قال عليك بتقوى الله، والاستقامة، اتبع ولاتبتدع[3] » وقال ابن مسعود: من كان مُستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً واعمقها علماً، واقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه، فتشبهوا باخلاقهم وطرائفهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم[4]، وقال ابن القيم الجوزية سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول « أعظم الكرامة لزوم الاستقامة»[5] ومن هنا استحقت الاستقامة هذه المنزلة والدرجة الرفعية والانعام الكبير عند الله وعند ملائكته، قال تعالى «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون، نزلا من غفور رحيم»[6] ...

---

(٢) الظلال (٦/ ٣٧٤٥) للاستاذ سيد قطب بتصرف.

(٣) شرح السنة للامام البغوي (١/ ٢١٤).

(٤) نفس المصدر (١/ ٢١٤).

(٥) تهذيب مدارج السالكين (٣٣٢) للاستاذ عبدالمنعم العزي.

(٦) سورة فصلت: ٣٠ ـ ٣١ .

المسألة الثامنة والعشرون

قوة القلب متى وكيف

يقول الشيخ رحمه الله: «**فالقلب يحتاج أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح كما يحتاج البدن أن يربى بالأغذية المصلحة له، والصدقة لما كانت تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار صار القلب يزكو بها وزكاته معنى زائد على طهارته من الذنب وكذلك ترك الفواحش يزكو بها القلب وكذلك إذا تاب من الذنوب كان استفراغا من تخليطاته حيث خلط عملا صالحا وآخر سيئا فإن تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه**»*.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب، ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضا في قلوب الخلق»[1] وجاء في الأثر عن علي كرم الله وجهه أنه قال «من أراد عزاً بلا عشيرة، وغنى بلا مال، وجاهاً بين الأخوان، ومهابة عند السلطان، فليخرج من ذل معصية الله تعالى الى عزّ طاعته »[2] واليك أيها السالك الراغب في تقوية قلبك، بعضاً من الأسباب المربية والمنجية للقلوب:ـ

ـ فعلى رأس هذه الاسباب أو الأدوية، القرآن الكريم الذي أنزله الله هدىً وشفاء ورحمة ونوراً ومنهاجاً للعالمين قال تعالى: «**وننـزلُ من**

---

* مجموع الفتاوى (١٠/٩٦ ـ ٩٧) بتصرف يسير.

(١) شؤم المعصية وبركة التقوى (٣٥) للاستاذ احمد البيانوني.

(٢) نفس المصدر (٣٨).

القرآن ما هو شفاء ورحمةٌ للمؤمنين »[٣].

- التعرض إلى المواعظ الايمانية، عن العرباض ابن سارية قال «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائلٌ يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[٤].

- ترويض النفس على الصيام والقيام وكفى بهما مدرسة، قلت لليل كم بصدرك سراً أنبئني ما أروع الأسرار قال: ماضاء في ظلامي سرٌ كدموع المُنيب في الأسحار[٥].

- لزوم الجماعة المؤمنة، يقول الأوزاعي: خمسٌ كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم «لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، وجهاد في سبيل الله»[٦].

- المواظبة عل تجديد التوبة والاستغفار، عن ابن عمر ضي الله عنهما أنه قال: كنا نعدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائه مرة: ربي أغفر لي، وتوب علي، إنك أنت التواب الرحيم»[٧] وفي حديث آخر «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً. ومن كل همّ فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب »[٨].

(٣) سورة الاسراء، ٨٢.

(٤) اخرجه الامام البغوي في شرح السنة (١/ ٢٠٥) وقال هذا حديث حسن.

(٥) الرقائق للراشد (٣٥).

(٦) شرح السنة للبغوي (١/ ٢٠٩).

(٧) أخرجه ابو داوود رقم (٦/ ١٥) والترمذي رقم (٣٤٣٠) وقال حديث حسن صحيح غريب.

(٨) اخرجه ابو داود رقم (٨٥١٨ وابن ماجة رقم (٣٨١٩)

المسألة التاسعة والعشرون

هموم الداعية سبيل لمواصلة العمل

يقول شيخ الاسلام قدس الله روحه: «**وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه، فيكون محموداً من تلك الجهة لا من جهة الحزن، كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموماً. فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك، ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة نهى عنه، وإلا كان حسب صاحبه رفع الإثم عنه من جهة الحزن** »*

قال تعالى : «**فلعلَّك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث آسفا**»[1] تلك هي الصورة الحية لضمير الداعية الأول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم الذي بلغ به الأسى والحزن على أحوال المكابرين عن دعوة الحق، مبلغا كاد يقتل به نفسه لولا لطف العليم الخبير به الذي دأب في تسليته وتخفيف الوطأة عليه من جراء غربته والسخرية به وعداء الجاهلية له، نجد أن كل هذه الهموم التي أحاطت بالداعية الأول لم يألُ معها جهداً في مواصلة تحقيق الهدف السامي في اخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، يَذْكُر لنا أهل السير أنه لما عظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له إزاء ما فعله ابن أخيه «رسول الله صلى الله عليه وسلم» من سب لآلهتهم

---

* مجموع الفتاوى (١٠/١٧).

(١) سورة الكهف : ٦

وتسفيه لأحلامهم وتضليل لآبائهم، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعْلِمُهُ ما قالته قريش، ثم قال له ابق على نفسك وعلي، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمّه رأي، وأنه خذله وضعف عن نصرته فقال رسول الله صلوات الله عليه: (ياعماه والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ثم بكى رسول الله »[٢] أفبعد هذا الاهتمام بكل ما يحدث للدعوة والدعاة من اضطهاد وتسفيه يكون ثمة تباطؤ أو خوف، كلا إنه لا يخشى على نفسه أو اتباعه، وإنما يخشى على الدعوة التي لازالت تتردد بين الشك واليقين في أذهان الملأ من قريش الذين لم يألوا لحظة في تتبع شتى الطرق والوسائل المفضية، لصرف هَم الداعية الأول عن التفكير بهذا الأمر والسعي في تحقيقه وتلك حقيقة يعيدها لنا التاريخ عبر كل عصر ومصر، فهاهي الأنظمة العميلة اليوم ضاربة أطنابها في العالم الاسلامي بهدف كسر شوكة الحق أو تمييع قضاياه الهامة كـ«فلسطين أو إعادة الخلافة الاسلامية» بشتى الوسائل والمخططات لحصر هموم العالم الاسلامي بالتفاهات عن المهمات فكانوا كما صدق فيهم قول الشاعر المعاصر:

«قالوا السعادة في السكون ... وفي الخمول وفي الخمود
في العيش بين الاهل لا ... عيش المهاجر والطريد
في لقمة تأتي اليك ... بغير ما جهد جهيد
في المشي خلف الركب في ... دعة وفي خطو وئيد
في آن تسير مع القطيع ... وان تقاد ولا تقود
في أن تصيح لكل والٍ ... عاش عدكم المجيد
في أن تعيش كما يراد ... ولا تعيش كما تريد
قلت الحياة هي التحرك ... لا السكون ولا الهمود

---

(٢) فقه السيرة ص (١٦٤) للشيخ محمد الغزالي بتصرف يسير.

وهـــي الـتــفــاعــل والتــطور لا الـتـــحـــجـــر والجــمــود
وهـــي الـجـــهـــاد وهـــل يـــجـــا هـــد مـــن تـعــلق بـــالقـــعـــود
وهـــي الشعـــور بـــالانـــتصـــار ولا انـــتـــصـــار بـــلا جـــهـــود
وهـــي التـــلذذ بـــالمـــتـــاعـــب لا الـتـــلذذ بـــالرقـــود.[٣]

(٣) شعراء الدعوة الاسلامية (٣/٤١) بايجاز.

المسألة الثلاثون

وجوب الوحدة في العمل الإسلامي

يقول الشيخ رحمه الله: «**وهذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشائخها وامرائها وكبرائها هو الذي اوجب تسلط الأعداء عليها وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى: «ومن الذين قالوا إنا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العدواة والبغضاء»[1] فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العدواة والبغضاء واذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب*** »

لذلك نجد أن هذه المنهجية «الوحدة بين الحركات الاسلامية» اليوم غير واضحة المعالم والأسس فأحدهم يناطح أخاه في الرأي لقضية فرعية محال جمعها على رأي واحد، نظراً لتعدد النصوص وتفاوت الأفهام، ناهيك أن الأمر قد طغى عن حده وبلغ اكثر من منتهاه، كما سمعنا وشاهدنا دعاةً أساءوا للاسلام فهماً وتطبيقاً؟ فأحدهم يتعبد الله كما يزعم في جداله ومرائه للمخالفين له في المنهج والطريقة مع العلم ان الخلاف قائم على وجهات نظر مختلفة في قضية لها اكثر من سند ودليل، ولما صار الأمر كذلك من التعصب للرأي ومن إزدياد الفرقة لا الوحدة،لذا حرص الامام «حسن البنا» في أن يقعد القواعد والأصول التي تجمع ولاتفرق وتهدي ولا تضلل كالأصل الثامن من الأصول

---

(١) سورة المائدة آية ١٤ .

* مجموع الفتاوى (٣/٤٢١).

العشرين والذي يقول فيه «والخلاف الفقهي في الفروع لايكون سبباً للتفرق في الدين ، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول الى الحقيقة، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب[٢]» وذلك هو الأصل الموضح لقاعدته الذهبية، والتي كان يرددها صباح مساء «لنتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه» لاكما يفهم البعض من المتأولين لتلك العبارة أنها دعوة صريحة للتعاون وإن كان على حساب المسائل الأصولية؟ كلا إنه تأويل مردود يستلزم من صاحبه التأمل والتدقيق في أحد الأصول العشرين كالأصل الثاني وكذا الأصل العاشر والرابع عشر إن أراد إرواء غليله.، «يروى أن حكيما أوصى أولاده أن أئتوني بعصي فجمعها وقال اكسروها مجموعة فلم يقدروا، ففرقها وقال اكسروها ففعلوا فقال لن تغلبوا ما اجتمعتم، فاذا تفرقتم تمكن منكم العدو» نعم ومن هنا يتضح لنا معاشر الدعاة ضرورة الوحدة في العمل الاسلامي فضلا عن فرضية شرعيتها وحركيتها والأدلة ظاهرة في الكتاب والسنة لاتحتاج منا الى تدليل يقول الداعية فتحي يكن[٣]«إن مصيراً مشتركاً رهيباً ينتظر كل القوى الاسلامية ما لم نبادر الى نسيان النفس والذات، ونخرج من دوامة النفس والذات لنلتقي جميعا على الله وعلى مصلحة الاسلام العليا؟ والمطلوب من الجميع وقفة جريئة مع النفس صادقة مع الله مجردة من الانانية والعصبية والحزبية وحب الذات، وساعتئذ يفرح المؤمنون بنصر الله قل عسى ان يكون قريبا».

---

(٢) الرسائل (٣٥٧) .
(٣) أبجديات التصور الحركي للعمل الاسلامي للاستاذ المجاهد فتحي يكن(٧٧)

المسألة الحادية والثلاثون

العبادة بمنظورها الشامل في الاسلام

يقول شيخ الاسلام رحمه الله: «**العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة**»*

نعم هكذا كانت العبادة عند الذين تلقوا هذا الدين أول مرة «الصحابة» فلم يكن في حسهم قط أنها محصورة في الشعائر التعبدية من صلاة وصيام وزكاة وحج، بل لم يكن في حسهم في لحظة التجارة والبيع والشراء أنهم الآن في خارج العبادة، فلا عليهم أن يغفلوا عن ذكر الله ولا عليهم أن يخادعوا أو يسعوا إلى الربح الفاحش على حساب الناس، كذلك لم تكن الحياة تنقسم في حسهم إلى «عبادات» و«معاملات» إنما هي عبادات مختلفة بعضها شعائر مفروضة ذات أوقات محدودة، وبعضها معاملات مفتوحة تشمل كل نشاط الانسان السياسي والاقتصادي والاجتماعي والاخلاقي والعلمي والحضاري...، وأيضاً لم تكن الحياة تنقسم في حسهم إلى «ساعة لقلبك وساعة لربك» كما يدعيه العلمانيون والقوميون ممن صاروا ضحية للغزو التغريبي الفكري، كلا فالساعتان كلتاهما لله لأنها من ساعات الحياة والحياة كلها لله. إذن فالفهم الصحيح للعبادة هو فهم الصحابة رضوان الله عليهم إذ أن سلوكهم بمقتضى هذا الفهم هو السلوك الحق. ولكن يا للدهشة؟؟ خلفت من بعدهم أجيال أخذت تتهرب من التكاليف وتتخفف منها، فتخرجها رويداً رويداً من دائرة العبادة، وتضيق دائرة العبادة تدريجيا حتى تحصرها نهائيا في الشعائر التعبدية ولا زيادة!!

---

* مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩) .

وحين خرج الصدق من دائرة العبادة لم يعد الصدق في حس الناس لازماً إنما أصبح شيئا جميلاً إن وجد فان لم يوجد فلا بأس؟ وحين خرجت الأمانة من دائرة العبادة لم تعد لازمة في التعامل إنما هي جميلة إن وجدت في شخص بعينه، فإن لم توجد فلا بأس؟ وحين خرج الوفاء بالوعد من دائرة العبادة لم يعد لازما إنما هو موعظة جميلة يلقي بها الخطيب في خطبة الجمعة، فإن لم يمارسه أحد فلا بأس؟ وهكذا صار عند الناس اسلام بلا أخلاق... اسلام لم ينزله الله تعالى ولم يأمر به إنما أمر بضده تماماً.. ومع ذلك يمارسه الناس على أنه غاية المراد من رب العباد[1] ولكن أين هؤلاء من قول الحق جلا وعلا: «**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له**»[2]...

---

(١) انظر واقعنا المعاصر للمفكر الاسلامي محمد قطب (١٦٩ ـ ١٧١) بتصرف.

(٢) سورة الانعام آية (١٦٢ ـ ١٦٣).

المسألة الثانية والثلاثون

يا تائب عليك بالمراغمة

يقول الشيخ رحمه الله: «**والذنوب تنقص الايمان، فإذا تاب العبد أحبه الله وقد ترتفع درجته بالتوبة، قال بعض السلف «كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة » فمن قضي له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير: «إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينيه فيعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينيه فيستغفر الله ويتوب إليه منها »***

ومن المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمتى ماصحت التوبة في الابتداء صحت في الانتهاء، وصارت النفس تضيء بالهمة وتتوقد الى أن تصل إلى درجة المراغمة التي حباها الله لكثير من التائبين والمفرطين ممن كانوا بالأمس حزباً للشيطان وأتباعه، وهذه الدرجة لا تُعطى إلا لمن جد في الاستقامة والدعوة الى الله والقيام له بأمره لأنه لا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له كما أشار سبحانه إليها في مواضع من كتابه العزيز قوله: «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة»[1] سمىٰ المهاجر الذي يهاجر الى عبادة الله مُراغماً يراغم به عدو الله وعدوه والله يحب من وليه مراغمة عدوه وإغاظته، كما قال في موضع آخر «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصبٌ ولا مخمصة في

---

* مجموع الفتاوى (١٠/٤٥) .

(١) سورة النساء ، آية ١٠٠

سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عملٌ صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين[٢] » .

لذلك من تعبد الله بمراغمة الشيطان والنفس عظم شأنه عند مولاه ورفع به الدرجات وحط عنه السيئات وأحسن له العاقبة وحسن مآب، وصاحب هذا المقام معاشر الشباب إذا نظر إلى الشيطان ولاحظهُ في الذنب راغمهُ بالتوبة النصوح فأحدثت له هذه المراغمة عبودية أخرى من لذة البكاء من خشية الله على ما بَدَرَ منه، في أيامه الأُول فيأبىٰ عندها الا المراغمة وعبوديتها»[٣].

(٢) سورة التوبة آية (١٢٠).

(٣) تهذيب مدارج السالكين للاستاذ عبدالمنعم العزي (١٤٤ ـ ١٤٥) بتصرف.

المسألة الثالثة والثلاثون

وجوب اتخاذ الإمارة

يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله: «**يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لاقيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لاتتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم» رواه أبو داود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة، فأوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع***»

والناظر إلى وضع المسلمين اليوم في بلاد المسلمين وغيرها لايمكن أن يُسر بحال من الأحوال، فالفساد الذي عَمّ البشرية في زمننا هذا قد أصاب المسلمين منه الشيء الكثير، كيف لا والواعي البصير حين ينظر الى هذه الأمة المنكوبة يراها تتخبط في تصوراتها وأنظمتها وتقاليدها وعاداتها وحركاتها كلها تخبطاً منكراً شنيعاً، حتى غدت تضحك على نفسها كالمجنون، وتركض وراء أوهام الغرب وتُضحي بأثمن ما تملك نظير مواكبة التقدم والتحضر. إن الحل إذن أيها الدعاة يكمن في جهودكم المتضافرة لاقامة الدولة الاسلامية التي تحمي الاعتقاد من الزيغ ، ومن سيطرة أهل الباطل على أهل الحق، وهذا واجب عيني على دعاة الاسلام يستوجب بذلا للأسباب ومواصلة في العمل الدائب

* السياسة الشرعية (١٦٠) بتصرف يسير.

والنَّفس الطويل الذي لاينقطع ولايتعجل في سبق الحدث قبل وقوعه لأن الغاية والوسيلة التي منها الوقت، هو جزء من العلاج وقرينة للظفر والنجاح، قال تعالى: «**من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**»[1] ولعل من أقوى عوامل نجاح الحركات هو ضرورة وجود التنظيم الدقيق أو التخطيط الواعي، الذي غدى في تصور بعض الحركات الاسلامية بدعة منكرة ومستحدثة؟؟ وما علم هؤلاء أن طبيعة الاسلام نفسها تأبى أي شكل من أشكال الفوضى والارتجال، يقول الاستاذ فتحي يكن «والاسلام في محتواه القانوني ومضمونه التشريعي لايمكن أن يتخطى النطاق النظري الى الواقع العلمي دون أن تكون له «دولة» تحتكم إليه وتصدر عنه في كافة شؤونها» إلى أن قال «وغياب الوجود الحكومي للاسلام يؤكد كذلك ضرورة قيام تنظيم حركي وتحضير كافة المستلزمات والمقومات التي يتطلبها قيام الحكم الاسلامي، وقد تسبب غياب الوجود الحكومي الاسلامي في فترة من الزمن في نشوء كثير من الشبهات ما كانت لتنشأ لو كان له دولة تحمله وتحميه وتنافح عنه خصومه وتُجسد مبادئه لتكون صورة حيّة لقيمه ومُثله، ومن هنا تبرز ضرورة أخرى من ضرورات قيام التنظيم الحركي ألا وهو التمهيد الكافي لاستئناف الحياة الاسلامية»[2] .

---

(١) سورة الاحزاب آية ٢٣ .

(٢) الاسلام فكرة وحركة وانقلاب للداعية فتحي يكن (٤٠ ـ ٤١) بتصرف .

المسألة الرابعة والثلاثون

دور الداعية

في فقه الأعمال والأقوال

يقول الشيخ رحمه الله: «**وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب من باطن وظاهر فمن الدعوة إلى الله الأمر به وكل ما أبغضه الله ورسوله من باطن وظاهر فمن الدعوة إلى الله النهي عنه، إذ لا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله ويترك ما أبغضه الله سواء كان من الأقوال أو الأعمال الباطنة أو الظاهرة** *».

ولما كان الداعية جزءا من الدعوة لزمه التعرف على ما ندبه أو أوجبه الشارع الحكيم من حتمية الولاء لله ورسوله وللمؤمنين، فضلا عن القيام بالأركان الخمس للاسلام والأركان الست للايمان، ودعوة الآخرين إلى ما يحبه الله ورسوله أو بيان ما يبغضانه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الايمان: ان يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الا الله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[1] وعن معاذ رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال «يامعاذ والله إني لأحبك ثم أوصيك يامعاذ لاتدعن في دبُر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذِكْرك وشكرك وحسن عبادتك»[2]

---

* مجموع الفتاوى (١٥/ ١٦٤)

(١) اللؤلؤ والمرجان رقم (٢٦).

(٢) رواه أبو داود رقم (١٥٢٢) والنسائي (٣/ ٥٣) .

ويترجم لنا أيضا ابن عباس رضي الله عنهما حرص الداعية الأول وفقهه في تأصيل مبادىء الأعمال والأقوال الباطنة والظاهرة التي يحبها الله ورسوله، فيقول« كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم، يوماً فقال لي: ياغلام إني أعلمك كلمات: إحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[٣] . وروي في الأثر «أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله»[٤] بل إن أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله، ومن هنا كان للداعية أن يجعل هذا الميزان ذريعة لفقه الأعمال والأقوال الباطنة والظاهرة إذ لاتتم الدعوة إلى الله إلا به.

---

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٤) اسلامنا لسيد سابق (٦٠) .

المسألة الخامسة والثلاثون

«الجهاد في الاسلام مقصوده وفوائده»

يقول شيخ الاسلام رحمه الله: «والجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون كله لله، فمقصوده إقامة دين الله لا استيفاء الرجل حظه ولهذا كان ما يصاب به المجاهد في نفسه وماله أجره فيه على الله، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة»*

ويقول شيخنا الفاضل عبدالكريم زيدان: وترك الجهاد سبب للمذلة والهوان وضياع الديار وتسلط الكفرة على بلاد الاسلام وهذا من العذاب الذي توعد به الله تعالى تاركي الجهاد، قال ربنا في القرآن الكريم «إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير»[1] قال الامام ابن العربي المالكي في تفسيره: في هذه الآية «تهديد شديد ووعيد مؤكد في ترك النفير والخروج الى الكفار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا، وأما نوع العذاب فقال عنه الامام ابن العربي: هو الذي في الدنيا باستيلاء العدو على من يستولي عليه، وبالنار في الآخرة»[2] ووقائع التاريخ القديمة والحديثة تؤيد لنا ما ذكره لنا ابن العربي، فما أصاب المسلمين اليوم من ذل وتسلط الكفرة عليهم إلا بتركهم هذه الفريضة. وعلى ذكرنا

---

* مجموع الفتاوى (١٥/ ١٧٠)

(١) سورة التوبة: ٣٩

(٢) أصول الدعوة: د. عبدالكريم زيدان (٢٦٤) ط مكتبة المنار الاسلامية.

للجهاد فإن القتال في الاسلام له مقاصد نبيلة وفوائد جمّة. فمن أبرز مقاصده وأسبابه: ردُّ الاعتداء عن ديار المسلمين وأموالهم قال تعالى: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»[٣] ومنها نشر دعوة الاسلام وحماية حرية العقيدة. قال تعالى «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين»[٤] أما عن فوائده فهي منقسمة إلى العاجل والآجل فمصلحته العاجلة هو اعزاز الدين ومحق الكافرين وشفاء صدور المؤمنين، وأما عن مصلحته الآجلة فالأجر الجزيل والثواب العظيم كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل ميت يُختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة، ويُؤمن من فتنة القبر»[٥] ومزيدا من فوائد المجاهد حال جهاده للعدو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما من مُكلومٍ يُكلَمُ في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة، وكلْمُهُ يدمي اللون لون دم، والريح ريح مسك»[٦] وأخيرا اليكم هذه الوصية التي خرجت من فم المجاهد البطل «حسن البنا» وفيها «إن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهم الذي أذلنا إلا حبُ الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم وأحرصوا على الموت توهب لكم الحياة»[٧]

---

(٣) سورة البقرة: ١٩٠

(٤) البقرة: ١٩٣

(٥) رواه أبو داود رقم (٢٥٠٠) والترمذي رقم (١٦٢١) وقال حديث حسن صحيح.

(٦) اخرجه البخاري (الفتح ٩/ ٦٦٠)

(٧) مجموعة الرسائل (٤٣٧)

المسألة السادسة والثلاثون

«الهجرة بعد الفتنة»

قال تعالى « للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم»[١] يقول شيخ الاسلام في ظلال هذه الآية الكريمة: «ويدخل في معناها كل من فتنهُ الشيطان عن دينه أو أوقعه في معصية ثم هجر السيئات وجاهد نفسه وغيرها من العدو، وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك وصبر على ما أصابه من قول أو فعل»*.

لذلك كان على المهاجر من الذنب أو الفتنة أخذ الحيطة والحذر من استدراج الشيطان وهوى النفس له تارة أخرى، ولا يتأتي ذلك الا بالاستعانة بالله على قيام الليل وصوم التطوع ومداومة الاستغفار في أوقات الاسحار والصدقة في الأسرار والبكاء على الخطيئة وعدم الاصرار، كل هذا زاد يترفع به المهاجر الى الله في الدرجات العلى وفي مقامات الهدى ليتسنى له كبح جماح الشهوة والاستعلاء عن طينة الأرض والشجاعة في مقارعة دعاة المنكر والرذيلة قال تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا وإن الله لمع المحسنين»[٢] يقول سيد قطب «فالذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه ويتصلوا به، والذين احتملوا في

---

(١) سورة النحل: ١١٠

* مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٨٤)

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩

الطريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا، بل صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس وعلى حمل أعبائهم مع يقينهم بطول الطريق في مشتقة وغربته... أولئك لن يتركهم الله وحدهم ولن يضيع ايمانهم، ولن ينسى جهادهم، إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضيهم وسينظر الى جهادهم اليه فيهديهم وسينظر الى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر الى صبرهم واحسانهم فيجازيهم خير الجزاء.[٣]

---

(٣) في ظلال القرآن للمفكر الاسلامي الراحل سيد قطب رحمه الله (٥/٢٧٥٢) بتصرف يسير.

المسألة السابعة والثلاثون

«الداعية لا يعرف اليأس»

يقول الشيخ رحمه الله: « وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير من أحوال الاسلام جزع وكلّ وناح كما ينوح أهل المصائب وهو منهي عن هذا بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الاسلام، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأن العاقبة للتقوى وأن ما يصيبه فهو بذنوبه فليصبر إن وعد الله حق وليستغفر لذنبه وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار»*.

والعنصر الهدام اليوم الذي أودىٰ بتساقط بعض الدعاة على طريق الدعوة هو عنصر اليأس والجزع من واقع المسلمين المتردي في أسفل سافلين أو بعبارة أخرى الضعف والاحساس بالاضطهاد والملاحقة من قبل الحكومات الطاغوتية اللادينية في كثير من بلاد الاسلام، يقول الداعية عبدالله علوان رحمه الله في خطابه الذي وجهه للشباب المسلم: «صحيح أيها الشباب إن الدول الغربية والاستعمارية لها وسائلها وأساليبها في إخراج المسلم عن الاسلام وإدخاله في تيار اللادينية والإباحية، وصحيح أن الشيوعية العالمية لها مخططها الأكبر في تلخيد الجيل المسلم وإفساد خلقه وعقيدته، وصحيح أن التآمر على الاسلام وأهله بلغ هذا الحد الكبير والمدى الواسع.. ولكن ينبغي على المسلمين ولاسيما الشباب منهم ألا يتملكهم القنوط في بناء العزة، وألا يستحوذ عليهم اليأس في تحقيق النصر، وذلك لسببين:

---

* مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٥)

الأول : لأن القرآن الكريم حرم اليأس وندد باليائسين قال تعالى «ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» [١]

الثاني: لأن التاريخ برهن على انتفاضات الأمم المنكوبة في وجه أعدائها. وإلا من كان يظن ياشباب أن تقوم للاسلام قائمة في الأيام الأولى التي انتقل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى، وأصبح أبو بكر رضي الله عنه خليفة.. ففي هذه الأيام عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق وارتد بعض من قبائل العرب وامتنع قوم عن أداء الزكاة، وأصبح المسلمون كما يقول عروة بن الزبير «كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم وقلة عددهم وكثرة عدوهم» حتى وجد من المسلمين من قال لأبي بكر «ياخليفة رسول الله: أغلق بابك والزم بيتك واعبد ربك حتى يأتيك الموت»؟ ولكن أبا بكر ياشباب لم يلبسه اليأس ولم يمتلكه القنوط وإنما واجه هذه الأحداث والفتن بإيمان راسخ يزن الجبال، وبتفاؤل وأمل يعيد للاسلام إشراقه ولوحدة المسلمين تماسكها؟

هو الذي قال «أينقضي الدين وأنا حي» وهو الذي أنقذ جيش أسامة رغم وجود كثرة المعارضين له؟ وهكذا ياشباب تغلب أبو بكر على الصعاب واستطاع أن يرجع للمسلمين عزتهم ووحدتهم ولليائسين تفاؤلهم وأملهم؟ بل من كان يظن ياشباب أن تقوم للمسلمين قائمة لما استولى الصليبيون على المسجد الأقصى ما يقارب مائة عام، ومن كان يظن ان هذه البلاد «فلسطين» ستحرر في يوم ما على يد البطل المغوار «صلاح الدين» في معركة حطين الحاسمة.. بل من كان يظن أيها الأخوة أن بلاد الاسلام ستتحرر في يوم ما على يد البطل المقدام «قطز»

---

(١) سورة يوسف (٨٧)

في معركة عين جالون الحاسمة»[٢] إنه التفاؤل بالنصر ياشباب الدعوة، هو الذي يهيىء النصر ويدفـع من القوة المعنـوية ويحقق المـزيد من الانتصارات الحاسمة في كل زمان ومكان يقول الإمام البنا «لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين، وحقائق اليوم أحلام الأمس وأحلام اليوم حقائق الغد، ولازال في الوقت متسع ولازالت عناصر السلامة قوية عظيمة في نفوس شعوبنا المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد، والضعيف لا يظل ضعيفا طول حياته والقوي لا تدوم قوته أبد الآبدين. قال تعالى «ونـريد أن نمن عـلى الذين استضعفـوا في الأرض ونجعلهم أئمـة ونجعلهم الوارثين»[٣]. انتهى.

---

(٢) دور الشباب في حمل رسالة الاسلام للداعيـة عبدالله علوان (٢٦ الى ٣٣) بتصرف.

(٣) مجموعة الرسائل (١٥٢)

المسألة الثامنة والثلاثون

«داء الشهوة الخفية»

يقول الشيخ رحمه الله: «إن الانسان قد يخفى عليه كثير من أحوال نفسه فلا يشعر بها، إن كثيرا من الناس يكون في نفسه حب الرياسة كامن لا يشعر به، بل إنه مخلص في عبادته وقد خفيت عليه عيوبه، قال شداد بن أوس يابقايا العرب «إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية» *

وحقا هو داءٌ عضال يفتك بالدعاة فتكا يحبط عملهم ويمحو ثوابهم ويشقي عاقبتهم، يقول سفيان الثوري رحمه الله: «إياك وحب الرياسة فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة فتفقد نفسك واعمل بنية»[1] لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر أصحابه وأمته من بعده، قائلا لهم: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفَاطِمَة»[2] وعن أبي ذر قال قلت يارسول الله ألا تستعملني قال إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[3] قال النووي: هذا أصل عظيم في اجتناب الولاية ولاسيما لمن كان فيه ضعف وهو في حق

---

* مجموع الفتاوى (١٦/٣٤٦)

(١) العوائق: للراشد (٨٧)

(٢) أخرجه البخاري (الفتح ١٣/١٢٥)

(٣) أخرجه مسلم رقم (١٨٢٥)

من دخل فيهما بغير أهلية ولم يعدل فإنه يندم على ما فـرط منه إذا جوزي بالخزي يوم القيامة، وأما من كان أهلا وعدل فيه فأجره عظيم كما تظاهرت به الأخبار ولكن في الدخول فيها خطر عظيم، ولذلك امتنع الأكابر منها»[٤] وعن أبي موسى الأشعري قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: ياأيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنـه أخفى من دبيب النمل؟ فقال رجل وكيف نتقيه قال: قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»[٥] من هنا كان على المربين أن يصقلوا أنفسهم وأفرادهم على التجرد من حب الشهرة والحرص على الإماراة، مستنّين في ذلك بهدي القرون الأولى، يقـول الإمام الشافعي رحمهُ الله: «وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم، على ألا ينسب إليَّ منه حرف»[٦] ويقول الغزالي رحمهُ الله «وإنما تعرف حقيقة ذلك الاخلاص بأمر، وهو ان الواعظ المقبول إن كان يعظ الله لا لطلب القبول، وقصده دعوة الخلق الى الله، فعلامته أنه لو جلس على مكانه واعظ أحسن منه سيرة، وأغزر منه علما، وأطيب منه لهجة، وتضاعف قبول الناس له بالنسبة الى قبوله، فرح به وشكر الله على إسقاط هذا الفرض عنه بغيره وبمن هو أقوم به منه»[٧] وكان مطرف بن عبدالله بن الشخير يعاتب نفسه ويربيها على ذم العجب والرياء في الأعمال فيقول «لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إليَّ من أن أبيت قائما فأصبح معجبا»[٨] ويقول ابراهيم بن الأدهم «ما صدق الله عبداً أحب الشهرة»[٩].

---

(٤) مقاصد المكلفين د. عمر الأشقر (٤٧٣) ط مكتبة الفلاح ـ الكويت

(٥) أخرجه أحمد (٤/٤٠٣)

(٦) نفس المصدر السابق (٤٧٣)

(٧) نفس المصدر السابق د. الأشقر.

(٨) الزهد لابن المبارك (١٥١).

(٩) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/١١١)

المسألة التاسعة والثلاثون

«الداعية والانصاف في تقليد الأئمة»

يقول الشيخ رحمه الله: «الواجب على من شرح الله صدره للاسلام إذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لا يحكيها لمن يتقلد بها، بل يسكت عن ذكرها إلى أن يتعين صحتها وإلا توقف في قبولها فما أكثر ما يحكى عن الأئمة ما لا حقيقة له، وكثير من المسائل يخرجها بعض الأتباع على قاعدة متبوعة مع أن ذلك الإمام لو رأى أنها تُفضي إلى ذلك لما التزمها، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، من عَلِمَ فقه الأئمة وورعهم، عَلِمَ أنهم لو رأوا هذه الحيل وماأفضت إليه من التلاعب بالدين لقطعوا بتحريم ما لم يقطعوا به أولا»*

ومن الغرائب التي ظهرت في ساحة الحركات الاسلامية اليوم إنكار البعض منهم قضية التقليد مطلقا والدعوة الى التمسك بالكتاب والسنة دون العدول إلى رأي الأئمة المجتهدين في بيانهم لمنطوق الآية أو الحديث أو ناسخه من منسوخه أومطلقه من مقيده، متوهمين في ذلك قول أحد الأئمة الأربعة: «لا تقلدني ولا مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا» قلت: ان استدلالكم بتلك المقولة محملة على أنهم قالوا ذلك لتلاميذهم المؤهلين حيث يحثونهم بذلك على عمل هم عليه قادرون، وليس قولهم ذلك موجها الى العوام العجزة عنه، لأن هؤلاء ليسوا أهلا للنظر والاستدلال فلزمهم بذلك اتباع مذهب من المذاهب المعتبرة دون الجنوح الى التعصب لرأي مذهب أو التسفيه برأي المخالف، لاسيما إذا ثبت الدليل الأقوى عند

---

* مجموع الفتاوى (٣/ ٧٣ ـ ٧٤)

غيره لزمه العدول إليه، وإلا صار تقليده مذموماً وإليكم إخوتي الأحبة قول أهل العلم في شأن تقليد العوام لإمام من الأئمة يقول العلامة ابن قدامة المقدسي الحنبلي:

وأما التقليد في الفروع «الفقه» فهو جائز إجماعا فكانت الحجة فيه الاجماع، ولأن المجتهد في الفروع إما مصيب وإما مخطىء مثاب غير مأثوم، فلهذا جاز التقليد فيها بل وجب على العامي ذلك؟ ثم يتبع القول في ذلك؟ وذهب بعض القدرية إلى أن العامة يلزمهم النظر في الدليل في الفروع وهو باطل بإجماع الصحابة، فإنهم كانوا يُفتون العامة ولا يأمرونهم بنيل درجة الاجتهاد، وذلك معلوم من الضرورة والتواتر من علمائهم وعوامهم، ولأن الاجماع منعقد على تكليف العامي الأحكام وتكليفه رتبة الاجتهاد يؤدي الى انقطاع الحرث والنسل وتعطيل الحرف والصنائع فيؤدي إلى خراب الدنيا ثم ماذا يصنع العامي إذا نزلت به حادثة إن لم يثبت لها حُكم إلى أن يبلغ رتبة الاجتهاد فإلى متى يصير مجتهدا ولعله لا يبلغ ذلك أبدا فتضيع الأحكام فلم يبق إلا سؤال العلماء وقد أمر الله تعالى بسؤال العلماء في قوله تعالى «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»[1] ويروى أن الخليفة هارون الرشيد قال لمالك بن أنس يوما «ياأبا عبدالله تكتب هذه الكتب «يعني مؤلفاته الفقهية» وتفرقها في آفاق الاسلام لنحمل الأمة عليها، قال الإمام مالك ياأمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الأمة، كل يتبع ما صح عنده، وكل على هدى، وكل يريد الله تعالى[2]» ويقول شيخنا الفاضل عبدالكريم زيدان «ويجوز لمتبع مذهب معين أن يتبع غيره في بعض المسائل، إذ لا إلزام عليه بالتقيد بجميع اجتهادات هذا المذاهب، على أن يكون ذلك منه عن دليل دعاهُ إلى هذا التحويل عن

---

(١) انظر روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة الحنبلي (٣٤٣ ـ ٣٤٤)

(٢) نقلاً عن « ماذا عن الصحوة الاسلامية في العصر الحديث» د. عبدالله علوان (٦٢)

مذهبه إلى مذهب آخر في هذه المسائل»[3] وأخيرا إن على الدعاة أن يدركوا أن «اللامذهبية» مزلق خطير تهدد مسيرة الدعوة الاسلامية، وأن عليهم أن يتركوا الناس وما يتعبدون به أخذا عن مذاهب فقهية موثوقة معتبرة وألا يجبروهم على التجمد في اتباع مـذهب معين، ولا ينكروا على أحد إلا ما كان متفقا على إنكاره، لأن ذلك ضمان لوحدتهم وتوسعة لحل مشكلات حيـاتهم وتضافـر لجهودهم عـلى درب العزة والنصر!!

---

(٣) الوجيز في أصول الفقه د. عبدالكريم زيدان (٤١٢)

المسألة الأربعون

«حاجة الروح إلى التشريع السماوي»

يقول شيخ الاسلام رحمه الله: «والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها وحاجتهم اليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور»*

ومن هنا ندرك حقيقة يتناساها الماديون بل ويصرون على تركها، من أن السبب الرئيسي في انحراف السلوك الانساني هو إهمال غرس الدين في النفوس لاسيما النشء منهم، وبطبيعة الحال فان الحياة الانسانية لا تنتظم الا بالاسلام، وبعيدا عن هذا المنهج الرباني تفسد الحياة والبيئة ويظلم الانسان معها ويفسد، وما هذا الوصف اليوم عنا ببعيد في الأنظمة الغربية والعربية على حد سواء والتي جعلت ضريبة الشرود عن منهج الله طريقا لسعادة شعوبها ومجتمعاتها، وهيهات.. هيهات.. قال تعالى «ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا»[1] أي حياة قلقة بعيدة كل البعد عن الأمن والأمان والتوازن والاعتدال. والحق الذي يجب أن يفرض على العقلاء قبل السفهاء منهم هو أن الرسالة التي جاء بها خاتم النبيين رسالة تامة وكاملة وصالحة لكل زمان ومكان لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها تنزيل من حكيم حميد، الذي نظم جميع العلاقات سواء المتعلقة منها بالانسان وربه أو بالانسان وأخيه فردا كان أو جماعة فضلا عن علاقة الدول بعضها

---

* مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣).

(١) سورة طه (١٢٤).

ببعض في السلم والحرب مادية أو اجتماعية وبناء على ما سبق ذكره فإن البشرية اليوم تدرك حق الإدراك أن صلاحها لا يتم بقوانين من نتاج عقول البشر؟ كلا؟ إنما يتم بقانون السماء وهيهات أن ينطفىء نور السماء. يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله: «إن هتافات كثيرة من هنا وهناك تنبعث من القلوب الحائرة وترتفع من الحناجر المتعبة.. تهتف بمنقذ، وتتلفت على مُخلّص، وتتصور لهذا المخلّص سمات وملامح معينة تطلبها فيه، وهذه السمات والملامح المعينة لا تنطبق على أحد إلا على هذا الدين»[٢]؟؟

(٢) المستقبل لهذا الدين للشهيد سيد قطب (٩٥).

الخاتمة

ابن تيمية فقيه وعلم من اعلام الفكر الاسلامي شغل حياته بالجهاد والكفـاح علميا وعمليـا في سبيـل إصــلاح الانحـرافـات العقـديـة والاجتماعية التي يموج بها عصره فتقدم أمام الجيوش الاســلامية لوقف زحف التتار والفرنجة.. هذا الى جانب أنه ألف العديد من الكتب والرسائل والفتاوى، والجدير بالذكر أيها الدعاة أنه بعد مرور أكثر من ستة قرون على وفاته رحمه الله، أخذت التربية الغربية اليوم، تُـوْلي مزيداً من الاهتمام لدراسة لسلوك الانساني من مقالات ابن تيميـة المسطرة في بعض كتبه ومـؤلفاتـه، ألا يستسيغ لنـا معاشر الدعـاة والمفكرين أن نوُلي المزيد من الاهتمام في تربية النشء والأفراد عـلى المنهج السلفي الحركي القـويم عند ابن تيميـة وغيره من رجـالات حضارتنا الإسلامية العريقة، ولله درُّ.. القائل حين قال: «جمـال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم بعد الممات جمال الكتب والسير» .

« تم بحمد الله »

مصادر البحث

القرآن الكريم ....

تفسير القرآن العظيم .... للحافظ ابن كثير

في ظلال القرآن .... للاستاذ سيد قطب

فتح الباري .... للحافظ ابن حجر العسقلاني

شرح صحيح مسلم .... للعلامة النووي

شرح السنة .... للإمام البغوي

شرح العقيدة الطحاوية .... للعلامة علي بن أبي العز الأذرعي

مقدمة ابن خلدون ....

تاريخ الأمم والملوك .... للحافظ ابن جرير الطبري

عيون الأخبار .... لابن قتيبة

تهذيب التهذيب .... للعلامة ابن حجر العسقلاني

الوجيز في أصول الفقه .... د. عبد الكريم زيدان

الواضح في أصول الفقه للمبتدئين .... د. محمد سليمان الأشقر

إعلام أهل الحاضر برجال من الماضي الغابر .... لأبي تراب الظاهري

طبقات الحنابلة .... لابن أبي يعلىٰ الحنبلي

الاعتصام .... للمحقق أبي أسحاق الشاطبي

أصول الدعوة .... د. عبد الكريم زيدان

روضة الناظر وجنة المناظر .... للعلامة ابن قدامة الحنبلي

العلاقات الخارجية في دولة الخلافة .... د. عارف أبو عيد

صيد الخاطر .... للإمام ابن الجوزي
مقاصد المكلفين .... د. عمر الأشقر
فقه السيرة .... محمد الغزالي
فقه السيرة .... د. محمد سعيد البوطي
سلسلة محمد أحمد الراشد ....
سلسلة أعلام المسلمين ....
سلسلة فتحي يكن ....
المستقبل لهذا الدين .... للمفكر الاسلامي سيد قطب
واقعنا المعاصر .... للأستاذ محمد قطب
تهذيب مدارج السالكين .... عبدالمنعم العزي
مجموعة الرسائل .... للإمام حسن البنا
الجواب الكافي .... لابن القيم الجوزية
طريق الهجرتين وباب السعادتين .... لابن القيم الجوزية
كتاب الزهد .... لابن المبارك
شعراء الدعوة الاسلامية في .... للأخوين أحمد الجدع،
العصر الحديث .... حسني جرار
إغاثة اللهفان .... لابن القيم الجوزية
حسن البنا يتحدث إلى شباب العالم الاسلامي ....
شؤوم المعصية وبركة التقوى .... للاستاذ أحمد البيانوني
سلسلة د. عبدالله علوان ....

الفهرس